سلسلة بحوث منهجية في الدراسات القرآنية 2

التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم

جذوره وتطبيقاته والموقف منه

تأليف

أ.د. عادل بن علي الشدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن - جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من بعثه الله سراجًا منيرًا ومبشرًا للمؤمنين بأن لهم من الله فضلًا كبيرًا، أما بعد:

فإن المتخصصين في مجال التفسير وعلوم القرآن يكاد إجماعهم ينعقد على ظهور التفسير العلمي وكثرة المؤلفات والمحاضرات فيه من بين سائر أنواع التفسير الأخرى مما جعل كثيرًا من ا لباحثين المعاصرين يعدونه من أبرز وسائل الدعوة إلى الإسلام في عصرنا الراهن.

ويلاحظ أنه مع التضخم الكبير في عدد المؤلفات التي يمارس أصحابها التفسير العلمي إلا أن هناك إحجامًا من كثير من المتخصصين عن الدراسات النظرية التأصيلية في التفسير العلمي، وأعني بها الدراسات التي يغلب عليها جانب النقد والتقييم والتقويم للجهود المبذولة في هذا المجال.

لقد كان لبعض الباحثين المعاصرين فضل السبق في طرق هذا الباب منذ فترة طويلة نسبيًّا لكن وتيرة التأليف النشطة في المجال التطبيقي تبقي الحاجة قائمة لمثل هذه الدراسات التأصيلية النظرية.

وهذا البحث محاولة في هذا السياق أرجو أن يكون لبنة تتبعها لبنات في مجال التفسير العلمي.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، على التفصيل التالي:

التفسير العلمي للقرآن

جذوره والموقف منه

مقدمة:

الفصل الأول: مفهوم التفسير العلمي وتاريخه:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير العلمي.

المبحث الثاني: العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه.

المبحث الرابع: تاريخ التفسير العلمي، وأبرز المؤلفات منه.

وفيه مطلبان.

الفصل الثاني: التفسير العلمي بين الرفض والقبول:

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد في التفسير بالرأي وعلاقته بالتفسير العلمي.

المبحث الأول: أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأدلتهم.

المبحث الثاني: تحقيق موقف بعض من صنِّفوا معارضين للتفسير العلمي:

وفيه أربعة مطالب.

المبحث الثالث: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم:

وفيه مطلبان.

المبحث الرابع: الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين:

وفيه مطلبان.

الفصل الثالث: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود والمقبول:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المقبول .

الخاتمة: وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

وقد كان لدعم مركز البحوث التربوية بجامعة الملك سعود أثر طيب في إنجاز هذا البحث في الوقت المحدد فلهم مني جزيل الشكر والتقدير.

أسأل الله أن يوفقنا جميعًا لخدمة كتابه الكريم، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

الفصل الأول

مفهوم التفسير العلمي وتاريخه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالتفسير العلمي.

المبحث الثاني: العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

المبحث الثالث: التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه.

المبحث الرابع: تاريخ التفسير العلمي وأبرز المؤلفات فيه .

المبحث الأول:

التعريف بالتفسير العلمي

التفسير العلمي مصطلح حديث مكون من كلمتين أولاهما: التفسير الذي هو في اللغة: «كشف المغطى وبيانه»، كما قال ابن الأعرابي وابن منظور[١]، ولذا فقد فسَّر مجاهد قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] بقوله: بيانًا[٢].

ومن هنا فإن توسع بعض المعرِّفين للتفسير في الاصطلاح وإدخالهم علومًا أخرى ضمن حد التفسير يُعدُّ خروجًا بالتفسير عن حدّه الضابط الذي لا يتعدى: «بيان معاني القرآن»[٣].

ومن أبرز تعريفات التفسير في الاصطلاح ما يلي:

١- **تعريف ابن جزي الكلبي ت٧٤١هـ:** شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه[٤].

٢- **تعريف أبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ:** علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك[٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/ ٤٠٦) ولسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥).
(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١٩/ ١٢).
(٣) انظر: أصول في التفسير للشيخ محمد العثيمين (ص: ٢٥).
(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي الكلبي (١/ ٦).
(٥) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٢٦).

٣- **تعريف بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤هـ:** علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج حكمه وأحكامه[١].

٤- **تعريف آخر للزركشي:** علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها[٢].

٥- **تعريف ابن عرفة المالكي ت ٨٠٣هـ:** العلم بمدلول القرآن وخاصيّة كيفيّة دلالته وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ[٣].

أما الكلمة الثانية التي يتكون منها مصطلح: التفسير العلمي، فتعني النسبة إلى العلم، الذي هو في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة والجزم والإدراك، وهو ضد الجهل أما في الاصطلاح فإن تعريف العلم يختلف باختلاف معرّفيه تبعًا لمجال تخصصهم[٤].

ففي حين يرى أهل التدوين أن العلم هو: مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها فإن الفلاسفة ومن يسمّون بالحكماء يرون أن العلم هو: صورة الشيء الحاصلة في الذهن، أما المتكلمون فهو عندهم: صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، ويقصرون الماديون العلم

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٣).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٤٨).
(٣) انظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٥٩).
(٤) انظر: مناهل العرفان (١/ ٥).

على:حصول اليقينيات المستندة إلى الحس، فيُخرجون الغيبيات وما لا تقع عليه الحواس عن مسمى العلم، أما علماء الشريعة فالعلم عندهم يتضمن: العلم بالله تعالى وآياته وأفعاله في خلقه وأوامره ونواهيه[١].

وهذا هو الصحيح فإن العلم إذا أُطلق دون قيد فالمراد به علم الشريعة، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وكما قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

لكن الذي يعنينا في هذا المبحث هو التعرف على مفهوم: التفسير العلمي باعتباره مصطلحًا مركبًا من الكلمتين معًا.

ومن أبرز التعريفات التي وقف عليها الباحث ما يلي:

١- **تعريف الدكتور صلاح الخالدي**: تفسير الآيات تفسيرًا علميًّا وفق قواعد العلم الحديث وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث[٢].

٢- **تعريف آخر للدكتور الخالدي**: النظر في الآيات ذات المضامين العلمية من الزاوية العلمية، وتفسيرها تفسيرًا علميًّا، وذلك بالاستعانة بالعلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة في توسيع مدلولها وتقدير معناها[٣].

٣- **تعريف أمين الخولي**: التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٩).
(٢) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص:٥٦٦).
(٣) انظر: البيان في إعجاز القرآن (ص:٢٦٧).

في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[١].

وقد نقل موسى شاهين لاشين[٢]، ومحمد حسين الذهبي[٣] تعريف الخولي دون إشارة إليه.

٤- **تعريف الدكتور محمد لطفي الصباغ:** تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية[٤]، وهو تعريف منقول عن الخولي مع تصرف يسير في العبارة.

٥- **تعريف الدكتور عبد الله الأهدل:** تفسير الآيات الكونية الواردة في القرآن على ضوء معطيات العلم الحديث[٥].

٦- **تعريف الدكتور عبد المجيد المحتسب:** التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها[٦].

٧- **تعريف الدكتور فهد الرومي:** اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر

(١) انظر: التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم (ص:١٩).
(٢) اللآلي الحسان في علوم القرآن: لموسى لاشين (ص:٣٧٧).
(٣) التفسير والمفسرون: للذهبي (٣/ ١٤٠).
(٤) انظر: لمحات من علوم القرآن لمحمد لطفي الصباغ (ص:٢٠٣).
(٥) انظر: التفسير العلمي للقرآن لعبد الله الأهدل (ص:١٥).
(٦) انظر: اتجاهات التفسير في العصر الحديث للدكتور عبد المجيد المحتسب (ص:٢٤٧).

به إعجاز للقرآن[١].

٨- **تعريف الدكتور أحمد أبو حجر**: التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه[٢].

٩-**تعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني**: الكشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية[٣].

١٠- **تعريف د. زغلول النجار**: توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية[٤].

وبنظرة نقدية على التعريفات السابقة يمكن الوقوف عند الملاحظات التالية:

أولاً: يُلاحظ أنَّ إطلاق وصف [العلمي] على هذا اللون من التفسير دون سواه فيه مجافاة للحقيقة من جهة،وغضٌّ من قيمة العلوم الأخرى من جهة ثانية، ويُفهم منه أن ألوان التفسير الأخرى ليست علمية، كالتفسير الفقهي والعقدي واللغوي، ولذا فإن الأولى تقييده بالتجريبي أو الكوني، فيقال: التفسير العلمي التجريبي[٥]،أو التفسير العلمي الكوني.

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٢/ ٥٤٩).
(٢) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور أحمد أبو حجر (ص:٧٢).
(٣) انظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للشيخ عبد المجيد الزنداني وآخرين (ص:٣٣).
(٤) انظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار (ص:٣٥).
(٥) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٤٧).

مع ملاحظة صعوبة التقييد نظرًا لانتشار هذا المصطلح بشكل كبير، مما يجعل بعض الباحثين يستخدمه مع قناعته بعدم دقته، تبعًا للمقولة المشهورة: خطأ مشهور خيرٌ من صواب مهجور.

ثانيًا: في تعريف **الخولي والصباغ والذهبي ولاشين والمحتسب**، جاء النص على تحكيم الاصطلاحات العلمية على آيات القرآن وإخضاع عبارات القرآن لها، وفي هذا عكس للقضية، فالنص القرآني هو الحاكم على التفسير لا العكس، كما أن الاصطلاحات العلمية تشمل أربعة أمور هي: الفرضيات، والنظريات، والمكتشفات، والحقائق العلمية؛ ولذا فلابد من تحديد المراد بالمصطلحات العلمية هنا.

ويلاحظ أن القضايا الفلسفية لا علاقة لها بالعلم التجريبي والكوني، ولا تدخل ضمن مسمى التفسير العلمي عند أصحابه.

وقد مال هؤلاء المعرِّفون الخمسة إلى الإيحاء للقارئ بموقفهم الرافض للتفسير العلمي، وهو ما فطن إليه أحد الباحثين حين قال: إن كل من يُعرِّف التفسير العلمي بهذا الشكل إنما يُعرّفه من وجهة نظره المانعة لهذا الاتجاه في التفسير[1].

ثالثًا: في تعريفَي الدكتور **صلاح الخالدي** يلاحظ تكرار كلمتي التفسير والعلمي في التعريف أكثر من مرّة، مع أن المطلوب هو إيضاح معنى هاتين الكلمتين، فقد تكررت كلمة العلم أربع مرّات في التعريف الأول، وأربع مرّات كذلك في التعريف الثاني، دون إيضاح أي أنواع

(١) التفسير العلمي في الميزان للدكتور أحمد أبو حجر (ص:٧١).

العلوم يُقصد إليه في هذا اللون من التفسير.

رابعًا: في تعريف الدكتور **فهد الرومي** يُلاحظ أن مجرد كشف الصلة بين الآيات القرآنية وما يكتشفه العلم التجريبي ليس تفسيرًا للآية بالمعنى الاصطلاحي الدقيق للتفسير، الذي هو بيان المعنى المراد منها، وليس مجرد وصف الصلة بينها وبين ما يكتشف في علم ما.

وقد ركز التعريف على المفسر وليس التفسير، فتحدث عن (اجتهاد المفسر في كشف الصلة...) وهو عمل يقوم به المفسر، والمطلوب بيان تعريف التفسير العلمي، كما أن النص على أن يكون هذا الكشف على وجه واحد مخصوص هو (ما يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان) يحصر التفسير العلمي في دائرة الإعجاز العلمي دون سواها، ويخرج كثيرًا من الآيات القرآنية التي يمكن استخدام بعض الحقائق العلمية في إيضاح معناها دون أن يكون في ذلك إعجازٌ بالمعنى الدقيق لمصطلح الإعجاز ـ كما سيأتي ـ.

خامسًا: في تعريف الشيخ **الزنداني** والدكتور **الأهدل** والدكتور **أبو حجر**: يُلاحظ أن عبارة (في ضوء ما ترجّحت صحته) عند الأول، وعبارة (على ضوء معطيات العلم الحديث) عند الثاني. وعبارة (في ضوء ما أثبته العلم الحديث) عند الثالث، هي عبارات عامة غير دقيقة، ولا يناسب استخدامها في التعريفات التي تتصف عادة بالدقة والتحديد، لتكون جامعة مانعة، فهل يراد بها الاستئناس بمعطيات العلم الحديث أم الاحتجاج بها؟ وهل يعد التفسير علميًّا إذا أشار من بعيد إلى بعض معطيات العلم الحديث دون ربط ذلك بمعنى الآية؟ كما أن جعل تفسير

الآية القرآنية على وفق المعطيات العلمية غير مسلَّم به؛ فإن الآية لا يستمد تفسيرها من مجرد معطيات العلم الحديث. فهل ظل معنى الآية غامضًا ثم كشف عنه واتضح معناه بما ظهر من الكشوفات العلمية الحديثة؟

سادسًا: في تعريف الدكتور **زغلول النجار** توسع كبير في العبارة، أخرج التعريف عن كونه مانعًا، فهو يستخدم كلمة (توظيف)، وهي كلمة عامة تشمل التفسير والإيضاح، وتشمل الاستفادة من المعطيات دون وصول إلى درجة الكشف والبيان.

كما أن هذا التوظيف لا يقتصر على الحقائق ا لعلمية عنده، بل إنه يرى أن المفسر إذا لم يجد الحقائق والقوانين فإنه لا حرج عليه من توظيف النظريات والفروض العلمية في تفسير الآية[1]؛ وهو توسع غير سائغ ولا مبرر.

والذي يظهر أن المراد بالتفسير العلمي هو: **استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.**

وهذا التعريف نص على كون العلم التجريبي خادمًا للنص القرآني، وليس حاكمًا عليه، كما جاء في بعض التعاريف السابقة؛كما أن التعريف قصر أثر العلم التجريبي الحديث في زيادة إيضاح المعاني وتوسيع المدلولات، لأن معاني الآيات القرآنية كانت واضحة للصحابة والسلف الصالح، وإنما أسهم العلم التجريبي الحديث في زيادة الإيضاح وتوسيع الدلالة.

---

(١) انظر: السماء في القرآن للدكتور زغلول النجار (ص:٣)، وآيات الإعجاز العلمي في القرآن (ص:٣٥).

وإن أردنا أن نضيِّق الدائرة ونعرِّف التفسير العلمي بما يُفترض أن يكون عليه وليس بمجرد واقعه السائد، فإننا نضيف كلمة (حقائق) قبل كلمة (العلم التجريبي) لنحصر التفسير العلمي في دائرة الحقائق العلمية لا النظريات والفرضيات التي يجيز بعض المعاصرين توظيفها في فهم دلالة الآية القرآنية[1].

***

(١) انظر: السماء في القرآن (ص:٣)، وآيات الإعجاز العلمي في القرآن (ص:٣٥).

المبحث الثاني:

العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

من أكثر الأسباب التي أدت إلى تباين المواقف حول التفسير العلمي قبولًا أو ردًّا الخلط بينه وبين الإعجاز العلمي، حتى في أوساط بعض المتخصصين في هذا المجال، بل إن منهم من يراهما شيئًا واحدًا.

فهل كل آية تتضمن إشارة علمية في قضية كونية أو طبية أو نحوها تحمل إعجازًا علميًّا بالمعنى الدقيق للإعجاز؟

وفي حين قصر بعض الباحثين الإعجاز القرآني على وجه واحد هو الإعجاز البياني اللغوي دون سواه[1] بدعوى أن معارف الناس وقت نزول القرآن لم تدرك ما تم اكتشافه فيما بعد من العلوم الكونية والطبيعية، فكيف يسوغ حينئذٍ أن يتحدوا بما لا يملكون آلته والوسيلة إلى بلوغه إلا أن الصواب أن الله تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن في جميع جوانب الإعجاز فيه: الإعجاز البياني، والتاريخي، والإخباري، والتشريعي، والتربوي، والعلمي التجريبي؛ وفي كل عصر يبرز جانب من جوانب الإعجاز القرآني تبعًا لاهتمامات الناس ومعارفهم.

ولو سلمنا جدلًا بقصر الإعجاز على الجانب البياني اللغوي، فكم هي نسبة الذين يتذوقون اللغة ويدركون أسرار البيان فيها اليوم بالنسبة للناطقين بالعربية؟ وكم هي نسبة العرب إلى غير العرب من المسلمين

(١) من مثل محمود شاكر في مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي (ص:١٦) ود. صلاح الخالدي في البيان في إعجاز القرآن (ص:٢٦٧).

اليوم؟ بل وكم هي نسبتهم بالنسبة إلى أهل الأرض جميعًا الذين تحداهم الله تبارك وتعالى بالقرآن؟.

وعلى الضد من هؤلاء فإن من الباحثين من يؤكد على أن الإعجاز العلمي «قضية مسلمة لا جدال فيها أجمع عليها المسلمون»[١]، ويذهب بعضهم إلى تعريف الإعجاز العلمي بما يجعله مماثلًا للتفسير العلمي كما حصل من ا لدكتور غانم قدوري الحمد حين قال أن: «الإعجاز العلمي يتناول دراسة الآيات التي وردت فيها إشارة إلى قضايا علمية تتعلق بالفلك أو الطب، أو علمي النبات والحيوان ونحوهما»[٢].

بل إن بعض الباحثين يتحفظ على مصطلح الإعجاز العلمي، ويرى استبداله منعًا للخلط واللبس بمصطلح: دلائل صدق القرآن[٣].

ومن هنا فإن بيان العلاقة بين مصطلحي التفسير والإعجاز العلمي يزيل خطًا منهجيًّا وقع فيه بعض المتخصصين، وكانوا فيه على طرفين، والصواب هو التوسط بينهما، فليس التفسير العلمي مرادفًا للإعجاز العلمي وإلا لاعتبرا شيئًا واحدًا، كما أنهما ليسا منفصلين متباينين، بل إن بينهما عمومًا وخصوصًا ودائرة أحدهما أوسع من الآخر.

فكل إعجاز علمي فهو يُعرف من خلال التفسير العلمي، وليس كل تفسير علمي قابلًا لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجة على غير المسلمين.

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٦٠١).
(٢) انظر: محاضرات في علوم القرآن للدكتور غانم الحمد (ص:٢٤٩).
(٣) وهو الدكتور مساعد الطيار في كتابه مفهوم التفسير والتأويل ص(٨).

ولا يشغب على هذا البيان ما يشترطه الأشاعرة في المعجزة من ضرورة وقوع التحدي بها، حيث قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم يقولون: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدي بالمثل وعدم المعارضة»[١].

فإن القرآن من بين سائر معجزات النبي ﷺ قد انفرد بكونه متحديًّا به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وسائر المعجزات لم يُتحدّ بها، وليس فيما نقل تحدٍ إلا بالقرآن»[٢]، وقال في موضع آخر: «بل لم يُنقل عنه ﷺ التحدي إلا في القرآن خاصة...»[٣].

إن تعريف الإعجاز العلمي بـ: «إظهار صدق الرسول محمد ﷺ بما حمله الوحي إليه من علم إلهي ثبت تحققه ويعجز البشر عن نسبته إلى محمد ﷺ أو إلى أي مصدر بشري في عصره»[٤] يدل على وجود فرق بينه وبين التفسير العلمي ويظهر هذا الفرق إذا ركزنا على أمرين:

أحدهما: أن استخدام مكتشفات العلم التجريبي في بيان معاني الآيات القرآنية هو **التفسير العلمي**، وأن استخدام هذا التفسير العلمي في إثبات صدق النبوة وكون القرآن كلام الله لذكره ما لا يمكن للبشر أن

---

(١) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٩٥١).

(٢) انظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٧٩٤).

(٣) انظر: النبوات لابن تيمية (١/ ٥٤١).

(٤) وهو تعريف عبد المجيد الزنداني في مقابلة له مع مجلة (المسلمون) العدد ٤٠ بتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٠٦هـ، وانظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص: ٨١)، حيث عرّف الإعجاز العلمي بأنه إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية زمن الرسول ﷺ.

يعرفوه في ذلك الوقت هو **الإعجاز العلمي**. فكأن التفسير العلمي وسيلة لغاية: هي الإعجاز العلمي.

والثاني: أن القرآن حجة الله على الإنس والجن أجمعين، وجزء كبير من الثقلين من غير المسلمين، وغير المسلم لا يقتنع بصدق النبوة بمجرد ورود بعض الإشارات العلمية في الآيات القرآنية التي يجتهد المفسرون في استخدامها لإيضاح المعنى وهو ما يُسمَّى التفسير العلمي.

إنما يُحتج عليه بما يثبت قطعًا استحالة معرفة البشر له وقت نزول القرآن، ومنهم محمد ﷺ، ثم يكشف الله للناس بعد ذلك من حقائق العلم التجريبي ما يكون مذكورًا في القرآن فهذا هو الإعجاز العلمي.

***

المبحث الثالث:

التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه

من الباحثين من عدَّ التفسير العلمي منهجًا من مناهج المفسرين[١].

ومنهم من جعله اتجاهًا من اتجاهات التفسير في العصر الحديث[٢].

ومع أن البعض يرى أن هذا التقسيم هو أمر هامشيّ لا اعتبار له.

إلا أن الحقيقة خلاف ذلك فثمة فرق كبير بين الاتجاه والمنهج يتضح من خلال الرجوع إلى معناهما اللغوي والاصطلاحي.

فأما الاتجاه فهو مأخوذ من الوجه أو الوجهة،كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:٧٩]، وقال تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٢٢].

جاء في اللسان: «وجه كل شيء مستقبله.. والجهة والوجهة جميعًا: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، وضل وجهة أمره أي مقصده.. والوجاه والتجاه: الوجه الذي تقصده»[٣].

---

(١) انظر على سبيل المثال: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٢/ ٥٤٥)، وتعريف الدارسين بمناهج المفسرين للدكتور: صلاح الخالدي (ص:٥٦٦).

(٢) انظر على سبيل المثال: التفسير العلمي للقرآن في الميزان للدكتور: أحمد أبو حجر (ص:٢١٣)، واتجاهات التفسير في العصر الحديث للدكتور: عبد المجيد المحتسب (ص:٢٤٧).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور.

وقال الراغب الأصفهاني: «يقال للقصد وجه وللمقصد جهة ووجهة وهي حيثما تتوجه للشيء»[١].

والاتجاه في الاصطلاح: الهدف الذي يتجه إليه المفسِّر ويجعله قصدًا له في تفسيره.

أما المنهج: فأصله في اللغة النهج وهو الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج وضح[٢]... قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨] وفي المعجم الوسيط: «نهج الإنسان الطريق سلكه وبيَّنه... والمنهاج والمنهج: الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم؛ وجمع المنهج والمنهاج: مناهج»[٣].

وفي الاصطلاح تعرّف مناهج المفسرين بـ: «الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم»[٤].

وبناءً على ما سبق فقد اتضح الفرق الكبير بين الاتجاه والمنهج، فاتجاه المفسر هو ما يغلب على قصده من التفسير، ومنهجه خطته العملية التي يصل بها إلى هذا الهدف الذي قصده.

فهل يسوغ حينئذٍ أن نعدّ التفسير العلمي منهجًا بمعنى أنه مجرد خطة وطريقة يسير عليها المفسر أم أنه في حقيقة الأمر هدف وقصد يسعى المفسر

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص:٨٥٦).
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٨٢٥).
(٣) انظر: المعجم الوسيط (ص:٩٥٧).
(٤) انظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص:١٧).

إليه من خلال مناهج متفاوتة يسلكها أهل التفسير العلمي للوصول إلى هدفهم بدليل اختلاف الطريقة والخطة بين من يؤلفون في التفسير العلمي، فمنهم من يجمع الآيات المتعلقة بموضوع علمي تجريبي محدد في مكان واحد ثم يفسّرها تفسيرًا علميًّا، ومنهم من يسير على حسب ترتيب الآيات في المصحف فيفسر الآيات ذات المضامين العلمية الكونية في مواضعها، ومنهم من يتوسع فيقبل النظريات والفرضيات، ومنهم من يقتصر على الحقائق العلمية دون سواها مع أنهم جميعًا يتّحدون في القصد الذي اتجهوا إليه، وهو استخدام مكتشفات العلم الحديث في إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

***

المبحث الرابع:

تاريخ التفسير العلمي وأبرز المؤلفات فيه

المطلب الأول: تاريخ التفسير العلمي:

مع أن العصر الحديث شهد طفرة هائلة في المؤلفات في التفسير العلمي، إلا أن بدايات ظهور هذا اللون من التفسير ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدًا إلى أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، لأن «العلوم كلها داخلة في أفعال الله عزَّ وجلَّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارات إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة واختلف الخلائق في النظريات والمقولات ففي القرآن رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها»[(١)].

وزاد الغزالي في إيضاح تأييده للتفسير العلمي في كتابه: جواهر القرآن حيث سمى الفصل الخامس منه: «كيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن»، فذكر علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه، ثم مثّل ببعض الآيات التي لا يتم تفسيرها في رأيه إلا بمعرفة بعض العلوم، كعلم الطب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، وعلم الهيئة والفلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٢٥٨)، واتجاهات التفسير لعبد المجيد المحتسب (ص:٢٤٧).

قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، وقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد:٦]،وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨] وعلم تشريح الأعضاء في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[1] [الانفطار: ٦-٧].

وخلال القرن السادس برز الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)بوصفه علمًا ضخمًا من أعلام التفسير العلمي من خلال تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) بل إنه اشتد كثيرًا على من لا يرى هذا التوجه، ووصفهم بالجهل والحمق فقال: «ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته...»[2].

أما ابن أبي الفضل المرسي ـ ت ٦٥٥هـ ـ فقد نقل عنه السيوطي قوله عن القرآن: «قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك»[3].

وفي القرن الثامن الهجري ظهر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) كمؤيد قوي للتفسير العلمي حيث عقد فصلًا في كتابه (البرهان في علوم القرآن) عنوانه: في القرآن علم الأولين والآخرين. قال فيه: «وفي القرآن علم الأولين والآخرين وما من شيء إلا ويمكن استخراجه منه لمن فهّمه

(١) انظر: جواهر القرآن لأبي حامد الغزالي (ص:٣٠).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي (١٤/ ١٢١).
(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٢٧).

الله تعالى»[١].

أما جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) فقد أكد على تأييده التفسير العلمي فقال بعد أن ساق كلام ابن أبي الفضل المرسي السابق في تأييد التفسير العلمي: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى... إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات»[٢].

ولا يمكن للباحث أن يُغفل أعلامًا أيَّدوا هذا الاتجاه كالبيضاوي (ت ٧٩١هـ) في أنوار التنزيل، والنيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في غرائب القرآن؛ والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في روح المعاني؛ ومع ذلك فالملاحظ هو القلة النسبية لأعداد المهتمين بالتفسير العلمي، فعلى امتداد ما يقارب ثمانية قرون لم يستطع الباحثون في اتجاهات التفسير أن يجدوا أكثر من ثمانية مفسرين اهتموا بالتفسير العلمي، وهو عدد قليل بالنسبة للمفسرين على امتداد القرون.

كما أن معظم هؤلاء المفسرين الثمانية لم يمارسوا التفسير العلمي عمليًّا في تفاسيرهم بحيث يصح اعتباره اتجاهًا لهم، بل إنهم اكتفوا بالتأييد النظري والدعوة إلى التفسير العلمي، يُستثنى منهم الفخر الرازي الذي كان رائدًا

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ١٨١).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ١٢٩).

بحق للتفسير العلمي ومارسه عمليًّا في تفسيره: مفاتيح الغيب[1].

فإذا أضفنا لذلك أن مصطلح التفسير العلمي ذاته لم يكن موجودًا قبل العصر الحديث وأن مفهوم التفسير العلمي عند السابقين اقتصر على استخراج أصول العلوم والصنائع من القرآن، أو الدعوة العامة إلى التفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وعجائب قدرة الله تعالى في خلق الإنسان والحيوان، فإننا نجزم حينئذ بصواب عدِّ التفسير العلمي اتجاهًا معاصرًا حديثًا في التفسير، لا سيما وقد كثر المهتمون به في العصر الحديث، وشاعت المؤلفات فيه وانتشرت بشكل غير مسبوق وأُفرد بمصنفات مستقلة، واستخدمت وسائل التقنية الحديثة في نشر التفسير العلمي عبر التسجيل الصوتي أو المرئي، وعبر مواقع شبكة الإنترنت فضلًا عن نشر الكتب والأبحاث والمقالات والمحاضرات في مجال التفسير العلمي وصاحب ذلك إنشاء (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، التي تتبع رابطة العالم الإسلامي ومقرها مكة المكرمة وتهتم بإقامة المؤتمرات والندوات والمحاضرات، وطباعة الكتب والدوريات المتعلقة بالتفسير العلمي.

المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في التفسير العلمي:

تمهيد:

يمكن تقسيم ما كُتب حول التفسير العلمي إلى قسمين:

---

(١) انظر على سبيل المثال تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل:٦٦]، وما بعدها حيث فسر الآيات تفسيرًا علميًّا. مفاتيح الغيب (٥/ ٣٣٦) وما بعدها.

أولهما: الدراسات التأصيلية النظرية التي تناولت التفسير العلمي وحكمت له أو عليه.

القسم الثاني: المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي عمليًّا في كتبهم.

ومع التأكيد على صعوبة حصر جميع المؤلفات لكثرتها إلا أن المقصود من هذا المطلب هو الرصد التاريخي لمسيرة التفسير العلمي وشيوعه في العصر الحديث دون التزام باستقصاء جميع ما كتب في هذا المجال.

القسم الأول: أبرز الدراسات التأصيلية النظرية حول التفسير العلمي:

١- التفسير العلمي للقرآن في الميزان. د. أحمد عمر أبو حجر.

٢- التفسير العلمي للقرآن الكريم. د. عبد الله الأهدل.

٣- اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. عبد المجيد المحتسب.

٤- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث. د. عفت الشرقاوي.

٥- اتجاهات التفسير في العصر الحديث. د. مصطفى الحديدي الطير.

٦- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. د. فهد الرومي.

٧- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر. د. محمد إبراهيم شريف.

٨- تيارات التفسير في مصر والشام في العصر الحديث. د. فضل عباس.

٩- مناهج المفسرين. د. مصطفى مسلم.

١٠- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين . د. صلاح الخالدي.

١١- مباحث في إعجاز القرآن. د. مصطفى مسلم.

١٢- تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. عبد المجيد الزنداني.

١٣- الفرقان في إعجاز القرآن عبد الكريم الحميد.

١٤- إعجاز القرآن الكريم. د. فضل حسن عباس.

القسم الثاني: أبرز المؤلفات التي مارس أصحابها التفسير العلمي:

١- الجواهر في تفسير القرآن الكريم. طنطاوي جوهري.

٢- العلوم الطبيعية في القرآن. يوسف مروة.

٣- الإعجاز العلمي في القرآن. أحمد عبد السلام الكرداني.

٤- القرآن ينبوع العلم والعرفان. علي فكري.

٥- كشف الأسرار النورانية القرآنية. محمد أحمد الإسكندراني.

٦- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن. حنفي أحمد.

٧- الكون والإعجاز العلمي للقرآن. منصور حسب النبي.

٨- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان. محمود شكري الآلوسي.

٩- مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية. أحمد محمد الصدِّيقي الغماري.

١٠- القرآن والعلوم الحديثة. محمود أبو الفيض المنوفي.

١١- الإعجاز العلمي في القرآن. د. البشير التركي.

١٢- القرآن والكشوف الحديثة. وحيد الدين خان.

١٣- معجزة القرآن. د. نعمت صدقي.

١٤- القرآن وإعجازه العلمي. محمد إسماعيل إبراهيم.

١٥- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. عبد الرحيم ماردِيني.

١٦- الإسلام والطب الحديث. عبد العزيز إسماعيل.

١٧- الإسلام في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.

١٨- الإعجاز الطبي في القرآن. د. السيد الجميلي.

١٩- بين الدين والعلم. عبد الرزاق نوفل.

٢٠- القرآن والطب. أحمد محمود سليمان.

٢١- القرآن والطب. د. الحاج محمد وصفي.

٢٢- القرآن والعلم الحديث. عبد الرزاق نوفل.

٢٣- لفتات علمية في القرآن. يعقوب يوسف.

٢٤- تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية. محمد بخيت المطيعي.

٢٥- الغذاء والدواء في القرآن الكريم. جمال الدين مهران.

٢٦- القرآن والعلم. محمد جمال الدين الفندي.

٢٧- مع الله في السماء. أحمد زكي.

٢٨- من روائع الإعجاز في القرآن الكريم. محمد جمال الدين الفندي.

٢٩- التوحيد. عبد المجيد الزنداني.

٣٠- توحيد الخالق. عبد المجيد الزنداني.

٣١- علم الأجنة في ضوء القرآن. عبد المجيد الزنداني وآخرون.

٣٢- إنه الحق. عبد المجيد الزنداني.

٣٣- إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر. عبد المجيد الزنداني وآخرون.

٣٤- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الارتفاعات العالية والإحساس بالألم. عبد المجيد الزنداني وآخران.

٣٥- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار. عبد المجيد الزنداني وآخرون.

٣٦- آيات الله في الآفاق. عبد المجيد الزنداني.

٣٧- آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زغلول النجار.

٣٨- من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن. د. زغلول النجار.

٣٩- صور من تسبيح الكائنات لله. د. زغلول النجار.

٤٠- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء. د. سليمان الطراونة.

٤١- من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل. د. عبد المنعم الحفني

٤٢- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. د. صادق الهلالي ود. حسين اللبيدي.

٤٣- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات. د. قطب فرغلي ود. السيد زيدان.

٤٤- الإعجاز العلمي في القرآن. حمزة الصيرفي.

٤٥- تفسير الآيات الكونية. د. عبد الله شحاتة.

٤٦- معجزة القرآن. محمد متولي الشعراوي.

٤٧- التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث. د. موريس بوكاي.

٤٨- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زكريا هميمي.

٤٩- الإعجاز العلمي في القرآن. محمد السيد أرناؤوط.

٥٠- إعجاز القرآن على مر الأزمان. غنيم كارم السيد.

٥١- الجانب العلمي في القرآن. د. صلاح الدين خطاب.

٥٢- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن. د. سليم عبد الحليم.

٥٣- الإعجاز العلمي في القرآن. سامي محمد علي.

٥٤- حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. د. توفيق علوان.

٥٥- القرآن والعلم. عبد الرزاق نوفل.

٥٦- أضواء من القرآن على الإنسان. عبد الغني الخطيب.

٥٧- خلق الإنسان بين الطب والقرآن. د. محمد علي البار.

٥٨- القرآن في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.

٥٩- القرآن الكريم والعلوم الحديثة. أحمد كامل ضو.

٦٠- الكون بين العلم والدين. جمال الدين الفندي.

***

الفصل الثاني

التفسير العلمي بين الرفض والقبول

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد في التفسير بالرأي وعلاقته بالتفسير العلمي.

المبحث الأول: أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأدلتهم.

المبحث الثاني: تحقيق موقف بعض من صنِّفوا معارضين للتفسير العلمي وفيه أربعة مطالب.

المبحث الثالث: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم وفيه مطلبان.

المبحث الرابع: الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين وفيه مطلبان.

تمهيد

التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي الذي يُراد به: «الكشف عن معاني القرآن باجتهاد المفسِّر رأيه»[١].

ومعلوم ما جرى من الخلاف حول جواز التفسير بالرأي أو تحريمه، وخلاصة ذلك تقسيم التفسير بالرأي إلى قسمين:

القسم الأول: التفسير بالرأي المحمود وهو: اجتهاد المفسِّر الصادر عن علم أو غلبة ظن، المستمد من القرآن والسنة مع علم صاحبه باللغة العربية وقواعد الشريعة.

فهذا النوع من التفسير بالرأي جائز بل قد يكون مندوبًا إليه لأدلة منها:

١- كثرة النصوص التي تحث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته ولا يمكن حصول ذلك دون فهم وإعمال للعقل ومن هذه النصوص:

أ- قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

ب- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

جـ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

(١) التفسير العلمي في الميزان (ص:٥٥).

٢- دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل[١].

٣- اختلاف الصحابة في تفسير بعض الآيات على وجوه متعددة، فدل على جواز التفسير بالرأي عندهم.

القسم الثاني: التفسير بالرأي المذموم: وهو الاجتهاد الصادر عن جهل أو هويً أو عنهما معًا. وحكمه التحريم ومن الأدلة على ذلك:

١ - أنه قولٌ على الله بغير علم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. وعدّه سبحانه من الفواحش المحرّمة في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

٢ - الوعيد الوارد في السنة على القول في القرآن بالرأي: ومن ذلك:

أ- ما رواه الترمذي وأبوداود عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «...**ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»[٢].

ب- حديث: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[٣].

٣- تحرج بعض كبار الصحابة والسلف عن التفسير بالرأي: ومن ذلك:

أ- ما روي عن أبي بكر حين سئل عن تفسير شيء من القرآن «أي

---

(١) الحديث رواه البخاري كتاب الوضوء (١/ ٤٠).

(٢) رواه الترمذي في سننه في أبواب التفسير (٢/ ١٥٧) وقال حسن صحيح ورواه أبوداود في سننه (٣/ ٣٢٠) وانظر جامع البيان للطبري (١/ ٧٧).

(٣) رواه الترمذي في سننه في أبواب التفسير (٢/ ١٥٧)، وأبوداود في السنن (٣/ ٣٢٠).

سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في حرف في كتاب الله بغير علم»[١].

ب- ما روي عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع شيئًا[٢].

ولكن هل يدخل التفسير العلمي ضمن التفسير بالرأي المحمود فيكون جائزًا أو المذموم فيكون محرمًا؟ اختلف العلماء في هذه المسألة بين معارض ومؤيد على تفصيل سيتضح من خلال ما سيأتي.

***

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٢٩)، وأسباب نزول القرآن للواحدي (٢٤/ ٢٧).
(٢) جامع البيان للطبري (١/ ٢٩).

المبحث الأول:

أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأدلتهم

انتقد بعض العلماء التفسير العلمي واختاروا المنع منه لما يؤدي إليه من مفاسد في تفسير كلام الله تعالى، والذي يعنينا في هذا المقام ذكر أبرزهم دون مناقشة حججهم وبيان مدى قوتها أو ضعفها فمن هؤلاء:

١- **الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)**: وهو أشهر المعارضين للتفسير العلمي على الإطلاق، حيث قرر في كتابه (الموافقات) أن علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلومًا فالزيادة على ذلك تكلُّف، ثم مثّل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦] ، فمن فسّرها بعلم الهيئة فقد أتى عملًا غير سائغ، لأن ذلك مما لا تعرفه العرب وقت نزول القرآن، والقرآن إنما أُنزل على معهودهم.

ثم ذكر تكلُّف أهل العلوم الطبيعية وغيرها الاحتجاج على صحة الأخذ بعلومهم بآيات من القرآن، وأحاديث عن النبي ﷺ، مثل احتجاج أهل العدد بقوله: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٣]. والهندسة بقوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] ، وأهل التعديل النجومي بقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥][(١)].

٢- **محمود شلتوت شيخ الأزهر (ت ١٩٦٤م)**: وقد طالب في مقدمة

---

(١) الموافقات للشاطبي (١/ ٥١) وما بعدها.

تفسيره بتنزيه القرآن عن استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه احتفاظًا بقدسيته وجلاله.

ورأى أن هذا اللون من التفسير أفسد على أصحابه أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله.

وأشار إلى خطأ هذا التوجه لأن القرآن ليس كتابًا لنظريات العلوم ودقائق الفنون، ولحمل هذا التوجه أصحابه على التكلُّف المذموم، وتعريضه القرآن للدوران مع مسائل العلوم، وتحميله تبعات الخطأ في المسائل العلمية[1].

٣- **أمين الخولي (ت ١٩٦٥م)**: حيث ذكر أدلة الشاطبي في الاعتراض على التفسير العلمي ثم أضاف إليها أدلة تؤيد المنع منه من نواحٍ ثلاث:

أ- **الناحية اللغوية**: حيث تم تفسير ألفاظ القرآن من خلال التفسير العلمي بمعانٍ وإطلاقات لم تُعرف لها أثناء نزول القرآن.

ب- **الناحية الأدبيَّة والبلاغيَّة**: فكيف يخاطب الناس وقت نزول القرآن ويُتحدُّون بمعانٍ لم تعرفها الدنيا إلا بعد نزول القرآن بقرون.

جـ- **الناحية الدينيَّة أو الاعتقادية**: فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن، وهي جوامع لا تنضبط بل تتغيّر سريعًا.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأخيرة، للشيخ محمود شلتوت (ص١١-١٤).

ثم ذكر أن الربط بين القرآن والحقائق العلمية المختلفة ربما كان ضرره أكبر من نفعه خصوصًا وأن القرآن خطاب لعامة الناس: العلماء والجهال، وهذا الخطاب العام لا تدخل فيه دقائق قوانين العلوم في معادلات جبرية وأرقام حسابية[١].

وقد تبعه محمد حسين الذهبي فنقل عنه حججه بنصها تقريبًا دون إشارة إليه[٢].

٤- **محمد عزة دروزة:** وقد أخذ على بعض المفسرين محاولة استنباط النواميس العلمية والفنية واستخراج الأفلاك والمطر وأطوار النشوء ونمو الأحياء وانفتاق الأرض والسماء والذرة والكهرباء... من بعض الآيات القرآنية أو محاولة تطبيق النظريات العلمية والفنية على بعض الآيات القرآنية، ومثّل على ذلك بتفسير طنطاوي جوهري، وانتقد تحويل القرآن من هدفه الوعظيّ الدعويّ المقدس إلى الجدل والبحث العلمي التجريبي[٣].

٥- **شوقي ضيف:** حيث وصف التفاسير التي خاضت في مباحث علمية بأنها جنحت عن الجادة لأن القرآن فوق كل علم ومن الخطأ اتخاذه ذريعة لإثبات نظرية علمية في الطبيعة والعلوم الكونية والفلكية، وبيَّن أنه ليس من رسالة القرآن أن يكون كتابًا تُستنبط منه النظريات العلمية[٤].

---

(١) التفسير، معالم حياته ومنهجه اليوم لأمين الخولي (ص:١٩-٢٧).
(٢) التفسير والمفسرون، للذهبي (٣/ ١٥٧).
(٣) القرآن المجيد، لمحمد عزة دروزة (ص:٢٤٨).
(٤) سورة الرحمن وسور قصار د. شوقي ضيف (ص:١٠).

٦- **أحمد محمد جمال**: حيث خطَّأ من سمّاهم: بعض المثقفين من المسلمين، لمحاولتهم تطبيق بعض إشارات القرآن أو بعض لفتاته المعجزة على الاكتشافات أو النظريات الحديثة، وهم يظنون أنهم يرفعون بذلك شأن القرآن بينما يعرضونه بادعاءاتهم للتناقض والانتقاد والتعارض، ويضعونه دون موضعه من التقديس والتصديق[١].

٧- **الدكتور صبحي الصالح**: حيث انتقد ما أسماه (التوفيق العلمي في الدراسات القرآنية)، ووصفه بأنه مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين، ومثّل على ذلك بتفسير الجواهر لطنطاوي جوهري[٢].

٨- **محمد كامل حسين**: حيث رأى أن التفسير العلمي للآيات الكونية دعوى لا دليل عليها، ولا حاجة للمؤمنين بها، واتهم من يفسرون الآيات تفسيرًا علميًّا بضعف الإيمان فليس مقصودًا بالآيات الكونية غير الوعظ.. وكل تعمق في تصويرها تصويرًا واقعيًا هو بدعة حمقاء[٣].

٩- **الدكتور عبد المجيد المحتسب**: أكّد على «أن القرآن الكريم ليس كتاب علم مثل الكيمياء والذرة والهندسة.. إنما هو كتاب هداية ورحمة للناس»[٤]، واستدل على موقفه المعارض للتفسير العلمي بالخلط الواقع

---

(١) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب. أحمد محمد جمال (ص:٣٢٣).
(٢) معالم الشريعة الإسلامية. للدكتور صبحي الصالح (ص:٢٩١).
(٣) الذكر الحكيم. لمحمد كامل حسين (ص:٥٩).
(٤) انظر: اتجاهات التفسير في العصر الراهن لعبد المجيد المحتسب (ص:٣١٤)، بتصرف يسير.

بينه وبين علم إعجاز القرآن، وبخلو السنة من الإشارة إلى العلوم المختلفة التي يذكرها أهل التفسير العلمي، وبأن إثبات صدق القرآن لا يكون بالربط بينه وبين النظريات العلمية، بل بعجز العرب عن الإتيان بمثله، واختلاف أسلوبه عن الحديث النبوي، واستدل بأن الأمر بالتدبر في الكون إنما جاء لتهيئة الإنسان للإيمان، ولا يسوغ إطلاق العنان للعقل البشري في بحث كل ما ورد في القرآن[1].

١٠- **الدكتور علي عبد الواحد وافي** عميد كلية التربية بجامعة الأزهر سابقًا:

حيث وصف التفسير العلمي بأنه «جناية كبرى»، ووصف أصحابه بأنهم أساءوا أبلغ الإساءة إلى الإسلام والقرآن[2] بسبب التعسف وتحميل الألفاظ ما لا تحتمل وبسبب تعريض كلام الله للكذب والتكذيب، وتحويل القرآن إلى كتاب يقرر النظريات العلمية على أنها عقائد دينية[3].

١١- **عبد الكريم بن صالح الحميد**: أنكر ربط الآيات القرآنية بمكتشفات العلم التجريبي، والزعم بأن ذلك يدل على إعجاز القرآن، واعتبر ذلك من مجاراة الكفار والملاحدة فيما يزعمون أنهم اكتشفوه وعرفوه، وعدَّ هذا التوجه فتنة عظيمة، ورأى أن القائلين به أقحموا آيات القرآن قسرًا وقهرًا رغم عدم طوعيتها، والبون البعيد الفارق بينها وبين

(١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن.... (ص:٣١٦)، وما بعدها.

(٢) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص:٣١٨).

(٣) مقال للدكتور علي عبد الواحد وافي في مجلة الأزهر العدد التاسع، يناير (١٩٧١م) (ص:٧٠٨).

هذه العلوم الدخيلة. وقد ألف في ذلك كتابًا سمّاه: (الفرقان في بيان إعجاز القرآن) زادت صفحاته عن ٤٧٠ صفحة، وقال في مقدمته: «والمراد من هذا الكتاب النظر في هذا الطوفان الغامر المسمى: إعجاز القرآن العلمي، بزعم تصديق كلام الله وتصحيحه وتأييده هذه النظريات التي يُطلق عليها اسم العلم، التي وفدت من ملاحدة أصّلوا علومهم ونظرياتهم على جحود الخالق سبحانه»[1].

أبرز ما استدل به المعارضون للتفسير العلمي:

يمكن تلخيص ما سبق من أدلة للمعارضين للتفسير العلمي على النحو التالي:

١- **التفسير العلمي** تكلف، لأن المراد من خطاب القرآن معلوم لدى السابقين، وما زاد على ذلك فهو تكلف منهي عنه.

٢- **التفسير العلمي** يجعل القرآن كتاب تفصيل لدقائق العلوم، وغرض القرآن أسمى من ذلك، فهو كتاب هداية وإرشاد.

٣- **التفسير العلمي** مدعاة للزلل لدى أكثر من خاضوا فيه بتحميل النصوص ما لا تحتمل لموافقة الكشوفات العلمية الحادثة.

٤- **التفسير العلمي** بدعة جديدة لم تؤثر عن الصحابة والسلف وأهل التفسير في القرون المفضلة.

٥- **التفسير العلمي** يعرِّض القرآن للتكذيب حين تنقض النظريات

(١) انظر: الفرقان في بيان إعجاز القرآن، لعبد الكريم الحميد، (ص:٤-٥).

والفرضيات العلمية التي يربطها أهل التفسير العلمي بالآيات القرآنية.

٦- **التفسير العلمي** يتجاوز بالألفاظ القرآنية حدود الاستعمال في معهود العرب وقت نزول الآيات إلى معانٍ لم تكن معروفة لهم ذلك الوقت.

٧- **التفسير العلمي** يتنافى مع كون القرآن خطابًا للناس كافّةً العوّام والعلماء، فالعامي لا يفقه القضايا العلمية التي يتعرض لها أهل التفسير العلمي.

٨- **التفسير العلمي** مفاسده أكبر من مصالحه، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

ملاحظات عامة على أقوال المعارضين للتفسير العلمي:

وبعد استعراض أقوال أبرز المعارضين للتفسير العلمي يجدر التأكيد على أمور منها:

أولًا: أن هؤلاء المعارضين قد قدّموا خدمة كبرى للتفسير العلمي وأسهموا في تحسن مسيرته، نظرًا لشدّة نقدهم وقوة معارضتهم حيث سعى أهل التفسير العلمي إلى تلافي الأخطاء التي تنتقد عليهم، والتدقيق فيما يكتبونه، بدليل أن الكثير من المؤلفات المعاصرة في التفسير العلمي تخلو من كثير من الملاحظات التي أبداها المعترضون.

ثانيًا: أن تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري كان سببًا واضحًا للموقف الرافض للتفسير العلمي عند الكثير من المعترضين، بدليل كثرة ذكرهم له وتمثيلهم ببعض ما جاء فيه من شطحات.

ثالثًا: تفاوت حجج المعارضين من حيث القوة والضعف، وليس المقصود هنا هو الرد التفصيلي على الضعيف منها، لكن المقصود هو إثبات المعارضة لهذا اللون من التفسير.

رابعًا: نقل اللاحق من المعارضين عن السابق، وكثرة ترداد الحجج والأدلة بأساليب مختلفة مع حدّة العبارة أحيانًا، مما أطال الجدل وأوحى لبعض الباحثين بشدّة الخصومة، وصعوبة الفصل فيها بين المؤيدين والمعارضين، مع أن الواقع غير ذلك.

خامسًا: أن هناك مجموعة أخرى من المعارضين للتفسير العلمي مثل الأستاذ عباس العقاد ـ المفكر والكاتب المشهور ـ والأستاذ إسماعيل مظهر ـ صاحب مجلة المصور ومحررها ـ، وقد عدّهما بعض الباحثين[1] ضمن المعارضين، لكنني لم أذكرهما هنا لعدم تخصصهما في هذا المجال؛ لأن المقصود في مثل هذه الأبحاث التركيز على أقوال أهل التخصص المرتبطين بالبحث العلمي.

سادسًا: تم تصنيف بعض الأعلام من قبل بعض الباحثين المعاصرين على أنهم معارضون للتفسير العلمي دون تمحيص لموقفهم الحقيقي، تأييدًا أو معارضة للتفسير العلمي، ثم تتابع الباحثون على نقل هذا التصنيف حتى أصبح شبه مسلَّم به عند كثير من المتخصصين، ولذا فسوف أحاول في المبحث التالي تحقيق موقف بعض من صُنّفوا معارضين للتفسير العلمي.

---

(١) انظر: التفسير العلمي في الميزان (ص:٣٠٠، وص:٣٢٣)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٨٤)، علمًا بأن ما نقلاه عن الأستاذ عباس العقاد في كتابه الفلسفة القرآنية (ص:١٨١)، لا يفيد معارضته للتفسير العلمي.

المبحث الثاني:

تحقيق موقف بعض من صنّفوا معارضين للتفسير العلمي

المطلب الأول: أبو حيَّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ):

ذكر الدكتور فهد الرومي أبا حيان ضمن المعارضين للتفسير العلمي[١].

واستدل على ذلك بنقل عنه ينتقد فيه الرازي في تفسيره ومما جاء فيه قول أبي حيان: «... ونظير ما ذكره الرازي وغيره أن النحوي مثلًا يكون قد شرع في كتاب في النحو فشرع يتكلم في الألف المنقلبة، فذكر أن الألف في [الله] أهي منقلبة من ياء أو واو، ثم استطرد من ذلك إلى الكلام في الله تعالى فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل، ثم استطرد من ذلك إلى إعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه، ثم استطرد إلى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب وبالعقاب، ثم المثابون في الجنة لا ينقطع نعيمهم والمعاقبون في النار لا ينقطع عذابهم، فبينا هو في علمه يبحث في الألف المنقلبة إذا هو يتكلم في الجنة والنار، ومَنْ هذا سبيلُه في العلم فهو من التخليط والتخبيط في أقصى الدرجة»[٢].

ثم علَّق الدكتور الرومي على هذا النقل بقوله جازمًا:

«وذلكم رأيه لا أظنه بحاجة إلى بيان، يرفض هذا اللون ويرفض القول به لا عجزًا عنه وإنما عمدًا وقصدًا لعدم الخروج عن حدود التفسير

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٦١).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٤١).

المقبول عنده»[١].

وحين نتأمل كلام أبي حيّان المتقدم فإننا لا نجد له تعلقًا برفض التفسير العلمي ومعارضته بل هو ينتقد الاستطراد المؤدي إلى انتقال المؤلف من فن إلى فن ومن علم إلى علم دون منهجية علمية ضابطه، ولذا فقد أردف أبو حيان كلامه المتقدم بنقله عن شيخه أبي جعفر بن الزبير ما يؤكد ذلك المعنى فقال: «وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ـ قدس الله تربته ـ يقول ما معناه: متى رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف فاعلم أن ذلك إما لقصور علمه بذلك الفن، أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه حيث يظن أن المتغايرات متماثلات»[٢].

المطلب الثاني: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ):

ذكره الدكتور أحمد عمر أبو حجر ضمن أشهر المعارضين للتفسير العلمي في العصر الحديث[٣].

واستدل على ذلك بنقل ساقه عنه من مقدمة تفسير المنار قال فيه رشيد رضا: «كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية وهدايته السامية فمنها ما يُشغل عن القرآن

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٦٢).
(٢) انظر: البحر المحيط (١/ ٣٤١).
(٣) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص: ٢٩٠)، وفي المقابل فقد ذكره الدكتور فهد الرومي والدكتور فضل عباس ضمن المؤيدين للتفسير العلمي، انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٦٧)، وإعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل عباس (ص: ٢٤٩).

بمباحث الإعراب وقواعد النحو... وقد زاد الفخر الرازي صارفًا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعيّة وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها.

وقلّده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولًا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عمّا أنزل الله لأجله القرآن»[١].

ولم ينفرد الدكتور أحمد أبو حجر بهذا التصنيف بل إن الدكتور محمد حسين الذهبي ذكر محمد رشيد رضا تحت مبحث اختار له عنوان: (إنكار بعض العلماء المعاصرين لهذا اللون في التفسير)[٢].

وكذلك الدكتور عبد المجيد المحتسب فإنه عنون أحد مباحث كتابه بقوله: إنكار محمد رشيد رضا للتفسير العلمي[٣].

وبتتبع المواضع التي هي مظان للتفسير العلمي في تفسير محمد رشيد رضا يصل الباحث إلى نتيجة مغايرة لما سبق تقريره من بعض الباحثين فإن محمد رشيد رضا لم يكن معارضًا للتفسير العلمي، بل لقد استخدمه في مواضع متعددة من تفسيره، لكنه كان يرفض أن تطغى مباحث التفسير

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، المقدمة (١/ ٧).

(٢) التفسير والمفسرون، للذهبي (٢/ ٥٥٧).

(٣) اتجاهات التفسير في العصر الراهن (ص:٣٠٢).

العلمي بحيث تشغل قارئ التفسير عن الهدف الأسمى للقرآن وهو الهداية وينتقد الإطالة في مباحث العلوم الطبيعيّة بمناسبة كلمة أو كلمتين من مفردات القرآن وهو يشير بذلك إلى صنيع طنطاوي جوهري وإن لم يصرح باسمه.

وسوف أقتصر هنا على بعض الأمثلة من تفسير المنار التي وردت بعد تفسير الآية رقم ١٢٦ من سورة النساء، للتأكيد على انفراد محمد رشيد رضا بها حيث أن ما كان يكتبه من درس شيخه محمد عبده قد توقف فيه عند الآية المذكورة.

المثال الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]. تعرض محمد رشيد رضا للنجوم ثم ذكر علم الهيئة الفلكية الذي يُعرف به من آيات قدرة الله وعلمه وحكمته ما لا يعرف من علم آخر، وذكر أن هذا العلم قد اتسع في عصره بما استحدثه أهله من المراصد المقربة للأبعاد، والآلات المحللة للنور التي يُعرف بها سرعة سيره وأبعاد الأجرام السماوية بعضها من بعض، ومساحة الكواكب وكثافتها والمواد المؤلفة منها، وربط ذلك كله بالاهتداء بالنجوم ثم اقتبس كلامًا علميًّا متخصصًا عن علماء الهيئة في أبعاد بعض النجوم الثوابت التي هي شموس من جنس شمسنا، وعلل ذلك الاقتباس بمعرفة سعة ملك الله تعالى وقدر علمه عزَّ وجلَّ[1].

المثال الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ

(١) تفسير المنار (٧/ ٦٣٧).

﴿رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٧].

أشار محمد رشيد رضا إلى نعمة الله على الخلق بالهواء والرياح وكون الهواء عنصر الحياة للحيوان والنباتات، وذكر تركيب الهواء وعناصره وامتصاص النبات الكربون السام من الهواء وتغذّيه به وتركه الأكسجين للحيوان الذي به حياته ثم أنشد من نظمه في النباتات:

تختلج الكربون من ضرع الهوى تؤثرنا بالأكسجين المنتقى

وبعد أن استطرد في ذكر منافع الهواء للمخلوقات عرّج على الرياح فذكر أنواعها وتياراتها وفوائدها بكلام يندرج ضمن التفسير العلمي[1].

المثال الثالث: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان:١٠]. ذكر أنه يصح التعبير بالدخان عن العناصر البسيطة للبخار والدخان كالأيدروجين وهو مولد الماء، والأكسجين وهو مولد النار، والاسم العرفي لجنس هذه البسائط الغاز[2].

ثم قال: «فإن قيل إن آخر ما انكشف للبشر من علم التكوين في هذا القرن أن المنشأ الأول للخلق الذي كان قبل وجود الحيوان والنبات وما يسمى بالجماد من طبقات الأرض هو اتحاد ذراته الكهربائية الإيجابية بالسلبية المعبر عنهما في لغة العلم (بالإلكترون والبروتون) فهل لهذا من أصل من القرآن العظيم؟ فقلت: نعم إن هذان إلا زوجان منتجان» ثم ربط ذلك الكشف العلمي بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

(١) تفسير المنار (٨/ ٤٨١) وما بعدها.
(٢) تفسير المنار (١٢/ ١٩).

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]، وعقب بقوله: «وأبلغ من هذا في العموم وأدهش لأولي الألباب والفهوم وأعظم عبرة للمشتغلين في العلوم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦]. فهو يشمل الكهربائية وغيرها مما علم ومما قد يُعلم في المستقبل»[1].

كما أن محمد رشيد رضا قد استخدم التفسير العلمي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الحجر:١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ [الأعراف:٥٧]. وغيرها من المواضع.

وبهذا نصل إلى نتيجة مؤداها عدم معارضة محمد رشيد رضا للتفسير العلمي وخطأ تصنيفه ضمن المعارضين.

المطلب الثالث: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ):

ذكره الدكتور أحمد أبو حجر ضمن أشهر المعارضين للتفسير العلمي في العصر الحديث، واستدل على ذلك بقول الزرقاني: «القرآن كتاب هداية وإعجاز، وعلى هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شيء من الكونيات فإنما ذلك للهداية ودلالة الخلق على الخالق، ولا يقصد القرآن مطلقًا في ذكر هذه الكونيات أن يشرح حقيقة علمية في الهيئة

(١) تفسير المنار (١٢/ ٢١)، وما بعدها.

والفلك أو الطبيعة والكيمياء... ولا أن يزيد في علم الطب بابًا ولا في علم التشريح فصلًا ولا أن يتحدث عن علم الحيوان أو النبات أو طبقات الأرض»[١].

ثم انتقد الزرقاني الذين: «طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ومعارفه فنظموا في سلكها ما بدا لهم من علوم الكون وهم في ذلك مخطئون ومسرفون»[٢]، ورأى الزرقاني أنه لا حاجة لهذا التوسع فقال: «ولا أحب أن نتوسع في هذا فبين أيدينا أمثلة كثيرة ومؤلفات جمة تموج وتضطرب باستنباط علوم الكون من القرآن أو بتفسير القرآن وشرحه بعلوم الكون مما لا نرى حاجة إليه»[٣].

والذي يظهر بعد التأمل أن قصد الزرقاني انتقاد الاستغراق في هذا اللون من التفسير ومحاكمة القرآن بحقائقه النهائية إلى العلوم المادية، ولذا فقد تساءل بعد كلامه المتقدم قائلًا: «فهل يليق بعد ذلك أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم المادية القلقة، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية القارة الثابتة.

إن القرآن لا يفر من وجه العلم، ولكنه يدعو إليه ويقيم بناءه عليه وليس من الحكمة والإنصاف أن نحاكم المعارف العليا إلى المعارف الدنيا»[٤].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٢٥٢).
(٢) انظر: مناهل العرفان (٢/ ٢٥٢).
(٣) انظر: مناهل العرفان (٢/ ٢٥٣).
(٤) انظر: مناهل العرفان (٢/ ٢٥٣).

أما مجرد التفسير العلمي الذي لا استغراق فيه بحيث يطغى على هداية النص القرآنيّ ولا تعظيم له بحيث يصبح حاكمًا على النص القرآني، فإن الزرقاني لا يرفضه بدليل سياقه مثالين مقبولين عنده في التفسير العلمي:

المثال الأول: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور:٤٣].

قال الزرقاني: «فهذا النص الكريم يتفق مع أحدث النظريات العلمية في الظواهر الطبيعيّة من سحاب ومطر وبرق»(١).

والمفارقة هنا أنه ربط الآية القرآنية بما أسماه: أحدث النظريات العلمية مع أنه كان ينتقد ربط القرآن بالعلوم الكونية لأنها: «خاضعة لطبيعة الجزر والمدّ، وأن أبحاثًا كثيرة لا تزال قلقة حائرة بين إثبات ونفي»(٢).

المثال الثاني: في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:٣-٤] قال الزرقاني: «أرجو أن تقف قليلًا عند تخصيص البنان بالتسوية في هذا المقام، ثم تستمع بعد ذلك إلى علم تحقيق الشخصية في عصرنا الأخير، وهو يُقرر أن أدق شيء وأبدعه في بناء جسم الإنسان هو تسوية البنان، حتى إنه لا يمكن أن تجد بنانًا لأحد يشبه بنان آخر بحال من الأحوال، وقد انتهوا من هذا إلى أن حكموا البنان في كثير من القضايا والحوادث ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٣) [المؤمنون:١٤].

---

(١) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٨).
(٢) انظر: مناهل العرفان (٢/ ٢٥٣).
(٣) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٩).

فهذان المثالان يؤكدان على خطأ تصنيف الزرقاني ضمن المعارضين للتفسير العلمي، لأنه يستخدمه ولا يرى بأسًا من الربط بين الآيات ومكتشفات العلم الحديثة إذا لم تجعل هذه الكشوف حاكمة على النص القرآني، وإذا لم تحل هذه المباحث دون إدراك هداية القرآن وإرشاده.

ويرى الزرقاني استخدام التفسير العلمي للوصول إلى الإعجاز العلمي، لأن حديث القرآن عن الكون والأرض والبحر والحيوان والنبات كان حديث العليم بأسرارها، الخبير بدقائقها مع أن رسول الله ﷺ كان أميًّا، فأنّى يكون له ذلك السجل الجامع لتلك المعارف كلها، إن لم يكن تلقاه من لدن حكيم عليم؟! وذكر أن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] فيه تقرير لهذا الإعجاز العلمي[١].

المطلب الرابع: سيد قطب (ت ١٣٧٨هـ):

يكاد الباحثون يجمعون على معارضة سيد قطب للتفسير العلمي، ومنهم د. فهد الرومي[٢] ود. محمد لطفي الصباغ[٣]. ود. أحمد عمر أبو حجر[٤] ومحمد الأمين ولد الشيخ[٥] وغيرهم كثير.

(١) مناهل العرفان (١/ ١٨).
(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٥٩٢)، ودراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور فهد الرومي (ص:٢٩٢).
(٣) انظر: لمحات في علوم القرآن (ص:٢٠٥).
(٤) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص:٣١١).
(٥) انظر: بحث التفسير العلمي للقرآن بين المجيزين والمانعين، للشيخ محمد الأمين ولد الشيخ، مطبوع ضمن كتاب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (١٠٣).

والعجيب أن هؤلاء جميعًا يعتمدون على نص واحد مطول لسيد قطب في الظلال ساقه أكثرهم بنصه على طوله وجاء هذا النص أثناء تفسيره قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩].

وكانت بدايته محاولة من سيد قطب لبيان سبب عدول النص عن الإجابة العلمية النظرية على هذا السؤال عن الأهلة ـ وهي الإجابة التي لم تتهيأ لها البشرية في ذلك الوقت ـ والاكتفاء ببيان كون الأهلة مواقيت للناس والحج، وهي ثمرة عملية مفيدة للسائل.

ثم دخل سيد قطب من هذا الباب إلى بيان أن القرآن أكبر من تلك المعلومات العلمية الجزئية، وأنه لم يجئ ليكون كتاب علم فلكي أو كيماوي أو طبي، معرِّجًا على أن نتائج البحث العلمي ليست نهائية ولا مطلقة، وتعجّب من «سذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.. كأنما ليعظموه بهذا ويكبّروه».

ورأى أنه من الخطأ المنهجي «أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية وهي كل ما يصل إليه العلم البشري، هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى علميّة، ومن هذه النظريات والفروض كل النظريات الفلكية وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره».

ويرى أن هذه المحاولات إضافة إلى كونها خطًا منهجيًّا فهي تنطوي على ثلاثة أمور:

الأول: الهزيمة الداخلية التي تخيِّل للبعض أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع.

الثاني: سوء الفهم لطبيعة القرآن ووظيفته.

الثالث: التأويل المستمر المتكلف لنصوص القرآن لحملها على الفروض والنظريات التي لا تستقر ولا تثبت[١].

وحين يقصر الباحث نظره على هذا النص، فقد يترجح عنده معارضة سيد قطب للتفسير العلمي لكن نظرة فاحصة إلى المواضع التي هي مظنة التفسير العلمي أوصلت إلى نتيجة مغايرة فقد استخدم سيد قطب التفسير العلمي في خمسة وعشرين موضعًا وقف عليها الباحث[٢].

ولئن كان الدكتور فهد الرومي قد أشار إلى أن تأييد سيد قطب النظري للانتفاع بالكشوف العلمية في توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميقها لا يعدّ قبولًا للتفسير العلمي فإن هذا لا يترجح لأمرين:

أولهما: كثرة الأمثلة العملية التي مارس فيها سيد قطب التفسير العلمي بذات الطريقة التي مارس بها بقية المفسرين تفسيرًا علميًّا من خلال

---

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (١/ ١٨١) وما بعدها.

(٢) راجع على سبيل المثال المواضع التالية من تفسيره في ظلال القرآن: (٢/ ١١٦١) و(٤/ ٢١٣٤) و(٤/ ٢٢٩٣) و(٤/ ٢٤٤٤) و(٥/ ٢٧٦٥) و(٥/ ٢٩٦٨) و(٥/ ٢٩٦٩) و(٥/ ٣٠٣٨) و(٦/ ٣٤٣٧) و(٦/ ٣٢٦٢) و(٦/ ٣٤٤٧) و(٦/ ٣٦٣٧).

ذكر الكشوفات العلميّة أثناء شرحهم لمعاني الآيات، واستخدام ذلك في زيادة إيضاح المعنى وتوسيع الدلالة بل إن سيد قطب قد نص في أحد المواضع على أن ما ذكره من الكشوفات العلمية حول «كروية الأرض ودورانها يفسِّر التعبير القرآني: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر:٥]. تفسيرًا أدق من أي تفسير لا يستصحب هذه النظرية»[(١)].

وسيأتي هذا المثال بعد قليل.

الثاني: أن توسيع دلالة الآيات القرآنية وتعميقها من جملة تفسيرها فإن التفسير يُراد به إيضاح المعنى، ودرجة الإيضاح تزداد إذا قام ا لمفسِّر بتوسيع دلالة الآيات، وتعميق هذه الدلالة وزيادة إقناع القارئ بالدلالة التي توصل إليها في تفسيره وربطها بالنص القرآني.

والواقع أن سيد قطب في النص المطول الذي اعتمد عليه القائلون بمعارضته للتفسير العلمي قد فتح بابًا لقبول التفسير العلمي بعد انتقاده سذاجة المتحمسين لربط القرآن بالكشوفات العلمية حيث قال مباشرة بعد هذا الانتقاد: «لكن هذا لا يعني ألاَّ ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات ومن حقائق عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن.. كلا إن هذا ليس هو الذي عنينا بذلك البيان. ولقد قال الله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]. ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق وفي الأنفس من آيات الله، وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية في تصورنا»[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٣٨) بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن (١/ ١٨٢).

وكان يمكن لمن صنفوه معارضًا للتفسير العلمي أن يلجوا من هذا الباب الذي فتحه لهم من خلال النص السابق فينظروا في الممارسة العملية لسيد قطب هل تؤيد قولهم بمعارضته للتفسير العلمي أم تنقضه، لاسيما وقد زاد سيد قطب الأمر وضوحًا بمثالين حول قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]، وعقب عليهما بقوله: «وحسبنا هذا الاستطراد بهذه المناسبة فقد أردنا به إيضاح المنهج الصحيح في الانتفاع بالكشوف العلمية في توسيع مدلول الآيات القرآنية وتعميقها، دون تعليقها بنظرية خاصة أو بحقيقة علمية خاصة تعليق تطابق وتصديق... وفرق بين هذا وذاك»[1].

ويتضح من خاتمة هذا النص أن سيد قطب إنما ينتقدتعليق الآيات القرآنية بالنظريات، أو حتى الحقائق العلمية، بحيث تكون هذه النظريات أو الحقائق هي الأساس في التصديق، فيكون العلم مهيمنًا والقرآن تابعًا له، أما استخدام هذه الكشوفات العلمية في توسيع مدلول الآيات وتعميقها والانتفاع بها في هذا المجال فإنه لا يرى به بأسًا.

ولا شكَّ أن الأمثلة التطبيقية توضح استخدام سيد قطب للتفسير العلمي وخطأ تصنيفه ضمن المعارضين كما سيتضح من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/ ١٨٤).

﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

قال سيد قطب: «فقد اتضح أن الكون المعروف للبشر مؤلف كله من ذرات متحدة في ماهيتها وأنها بدورها تتألف من إشعاعات ذات طبيعة واحدة، وقد اتضح كذلك أن جميع الذرات وجميع الأجرام التي تتألف منها.. في حركة دائمة وأن هذه الحركة قانون ثابت لا يتخلف لا في الذرة الصغيرة ولا في النجم الهائل... مع أنني في هذا الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان لأنها نظريات تخطئ وتصيب.. مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسرًا على النظر في موضوع كروية الأرض، فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارًا، ولكن هذا الجزء لا يثبت؛ لأن الأرض تدور كلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار، وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورًا والليل يتبعه مكورًا كذلك... وهكذا في حركة دائبة ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾، واللفظ يرسم الشكل ويحدد الوضع ويبين نوع طبيعة الأرض وحركتها، وكروية الأرض ودورانها يفسران هذا التعبير تفسيرًا أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية»[1].

ولا أظن أن هناك ما هو أوضح من هذا المثال على استخدام سيد قطب للتفسير العلمي ونصه على كون كروية الأرض ودورانها يصلح تفسيرًا دقيقًا للتعبير القرآني في الآية.

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٣٨).

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨].

أشار إلى أن الشمس تجري بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلًا في الثانية ثم قال: «وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء لا يسندها شيء، ندرك طرفًا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم»[(١)].

فقد اعتمد هنا على حساب الفلكين بسرعة حركة الشمس في إيضاح معنى جريانها المذكور في الآية، وهذا تفسير علمي، تم اعتمد على قول الفلكيين في زيادة حجم الشمس عن حجم الأرض بمليون ضعف وهذا كله من التفسير العلمي.

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ [الحج:٧٣].

قال سيد قطب: «وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض، ويسلب أغلب النفائس، يسلب العيون والجوارح وقد يسلب الحياة والأرواح، إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذ وهو الضعيف الحقير»[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٩٦٨).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٤٤).

وقد حاول هنا شرح الحكمة من اختيار الذباب بالذات في هذا النص القرآني للدلالة على ضعف من يدعون من دون الله، فلجأ إلى ما اكتشفه علم الطب الحديث من حمل الذباب لميكروبات بعض الأمراض المكتشفة حديثًا، وهذا تفسير علمي.

المثال الرابع: عند قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥].

استطرد سيد قطب كثيرًا في ذكر الأرقام التي يذكرها علماء الفلك ليدلك على دقة التقدير الإلهي وعظمته، كما ورد في هذه الآية فذكر أن الشعري اليمانية أثقل من الشمس بعشرين مرّة، وأن نورها يعادل خمسين ضعف نور الشمس، وسهيل أقوى من الشمس بألفين وخمسمائة مرّة، ثم تناول طرفًا من الحساب الدقيق في علاقة الشمس والقمر بكوكبنا الأرض فقال: «إن الشمس تبعد عن الأرض باثنين وتسعين ونصف مليون من الأميال، ولو كانت أقرب إلينا من هذا لاحترقت الأرض أو انصهرت أو استحالت بخارًا يتصاعد في الفضاء، ولو كانت أبعد منا لأصاب التجمد والموت ما على الأرض من حياة... وكذلك القمر في حجمه وبعده عن الأرض فلو كان أكبر من هذا لكان المد الذي يحدثه في بحار الأرض كافيًا لغمرها بطوفان يعم ما عليها وكذلك لو كان أقرب مما وضعه الله بحسبانه الذي لا يخطئ مقدار شعرة»[1].

***

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٤٤٧).

المبحث الثالث:

أبرز المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم

تمهيد:

يمكن الجزم بأن المؤيدين للتفسير العلمي أكثر عددًا من المعارضين كما أنهم يزدادون على مر السنين في مقابل انحسار أعداد المعارضين.

ولئن كنا قد ذكرنا النصوص الدالة على معارضة المعارضين في المبحث الأول من هذا الفصل، فإننا لسنا في حاجة لنقل نصوص تدل على التأييد عند المؤيدين لأن مجرد تأليفهم الكتب في مجال التفسير العلمي يعد دليلًا على تأييدهم هذا النوع من التفسير.

وتجدر الإشارة في هذا السباق إلى أمرين:

الأول: تفاوت المؤيدين في درجة التأييد للتفسير العلمي فإن منهم من يدعو إلى وضع جملة من الضوابط والشروط لتأييده وقبوله، ومنهم من يؤيد التفسير العلمي ويستخدمه دون قيود.

الثاني: اختلاف المؤيدين في تخصصهم العلمي، فمنهم العالم الشرعي المتخصص، ومنهم الطبيب والفلكي والمهندس والأديب والواعظ، وكل هؤلاء يشتركون في دعوتهم إلى التفسير العلمي وتأييدهم له.

المطلب الأول: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي:

١- أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه: (معجزة القرآن).

٢- الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره: (مفاتيح الغيب).

٣- ابن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥هـ) فيما نقله عنه جلال الدين السيوطي في: (الإتقان).

٤- النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) في تفسيره: (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).

٥- البيضاوي (ت ٧٩١هـ) في تفسيره: (أنوار التنزيل).

٦- بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه: (البرهان في علوم القرآن).

٧- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن).

٨- الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) في تفسيره: (روح المعاني).

٩- محمد عبده (ت ١٩٠٥م) في تفسير (جزء عمّ) وما نقله عنه تلميذه في (المنار).

١٠- محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في تفسير (المنار).

١١- مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٨) في كتابه: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

١٢- محمد عبد الله دراز (ت ١٩٥٨) في كتابيه: (النبأ العظيم)، و(مدخل إلى القرآن الكريم).

١٣- محمد أحمد الغمراوي في كتابه (الإسلام في عصر العلم).

١٤- طنطاوي جوهري (ت ١٩٤٠م) في كتابه: (الجواهر في تفسير القرآن الكريم).

١٥- عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠هـ) في كتابه: (طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد).

١٦- عبد العزيز إسماعيل في كتابه: (الإسلام والطب الحديث).

١٧- حنفي أحمد في كتابه: (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن).

١٨- عبد الرزاق نوفل في كتابه: (القرآن والعلم الحديث).

١٩- محمد بخيت المطيعي (ت ١٩٣٥م) مفتي مصر في وقته في كتابه: (تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية).

٢٠- عبد القادر بن بدران الحنبلي (ت ١٣٤٦هـ) في تفسيره: (جواهر الأفكار ومعادن الأسرار).

٢١- عبد الحميد بن باديس (ت١٩٤٠م) في تفسيره المسمى: (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير).

٢٢- محمد مصطفى المراغي (ت١٩٤٥م) في كتابه: (الدروس الدينية للشيخ المراغي)، ومقدمته لكتاب: (الإسلام والطب الحديث).

٢٣- وحيد الدين خان الهندي في كتابه: (القرآن والكشوف الحديثة).

٢٤- سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ) في تفسيره: (في ظلال القرآن).

٢٥- محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) في كتابه: (مناهل العرفان

في علوم القرآن).

٢٦- الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في تفسيره: (التحرير والتنوير).

٢٧- محمد أحمد الاسكندراني في تفسيره: (كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية، والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية).

٢٨- محمد جمال الدين الفندي،في كتابه: (القرآن والعلم).

٢٩- جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) في تفسيره: (محاسن التأويل).

٣٠- شكري محمود الآلوسي في كتابه: (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان).

٣١- محمد متولي الشعراوي في كتابه: (معجزة القرآن والإعجاز البياني والعلمي في القرآن).

٣٢- محمود أبو الفيض المنوفي في كتابه: (القرآن والعلوم الحديثة).

٣٣- عبد المجيد الزنداني في كتبه ومنها: (تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن)، و(إنه الحق)، و(توحيد الخالق).

٣٤- د. زغلول النجار في كتبه، ومنها: (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن).

٣٥- مصطفى محمود في كتبه ومنها: (القرآن كائن حي).

٣٦- البشير التركي في مقالاته التي نشرها في مجلة: (العلم والإيمان) بعنوان: الإعجاز العلمي في القرآن.

٣٧- مصطفى أحمد عبد الباسط، في كتابه: (علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة).

٣٨- محمود شاكر في مقدمته لكتاب: (الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي).

٣٩- د. فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابيه: (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر)، و(دراسات في علوم القرآن).

٤٠- د. أحمد عمر أبو حجر في كتابه: (التفسير العلمي للقرآن في الميزان).

٤١- د. عبد الله الأهدل في كتابه: (التفسير العلمي).

٤٢- د. عبد الله المصلح في كتابه: (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

٤٣- د. مصطفى مسلم في كتابيه: (مباحث في الإعجاز العلمي في القرآن)، و(مناهج المفسرين).

٤٤- د. صلاح الخالدي في كتابه: (إعلام الدارسين بمناهج المفسرين).

٤٥- د. فضل حسن عباس في كتابه: (إعجاز القرآن الكريم).

المطلب الثاني: أبرز أدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

١- عموم بعض آيات القرآن الدالة على شموله:

كقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

٢- القرآن يدعو إلى التدبر والنظر في الكون والمخلوقات:

كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣].

٣- كثرة استدلال القرآن على علم الله وحكمته وقدرته بظواهر كونية:

ولو لم يكن البحث في هذه الظواهر مشروعًا لما كررها القرآن ومن هذه الظواهر تعاقب الليل والنهار وأحوال السماء والشمس والقمر والنجوم، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢]. وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

٤- الأصل هو جواز التفسير بالرأي، والتفسير العلمي إنما هو نوع من أنواع التفسير بالرأي يجتهد فيه المفسر في بيان معنى الآية، ومن قال

بالمنع منه هو المطالب بالدليل على تحريمه أمَّا من يستصحب أصل الجواز فلا يطالب بدليل على جواز عمله.

٥- أن كل ما يدخل تحت نص قرآني عام فإنه يعدُّ مما نص عليه القرآن ومن ذلك قضايا التفسير العلمي.

وقد جاء الحديث المتفق عليه أن النبي ﷺ سئل عن الحُمُر الأهلية عن صدقتها فقال: «**ما أنزل عليَّ في الحُمُر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة** ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]»[1].

والواضح أن الآية لم تنص على الحُمر الأهلية وصدقتها، ومع ذلك ذكر النبي ﷺ هذه الآية في هذا المقام.

٦- قد يكون العلم الحديث ضروريًّا للفهم الدقيق لمعاني بعض الآيات، فربما صار التفسير العلمي من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى.

٧- الفوائد الكبيرة المترتبة على التفسير العلمي ومنها:

أ- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام أو على الأقل زيادة إقامة الحجة عليهم.

ب- ملأ النفوس تعظيمًا للخالق عزَّ وجلَّ بإدراك عجائب خلقه وتقديره.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب المزارعة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار. انظر: فتح الباري (٦/ ٤٠٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٧/ ٦٧).

جـ- زيادة إيمان المؤمنين ويقينهم بصدق ما هم عليه من الحق وقد قال إبراهيم لربه: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

٨- التفسير العلمي سبيل مهم للوصول إلى الإعجاز العلمي، والإعجاز العلمي يعجز الملحدون أن يجدوا فيه موضعًا للتشكيك، فالحقائق العلمية المذكورة في القرآن يتفق أهل العقول على كونها دليلًا على أن من أنزل القرآن هو خالق هذه الحقيقة العلمية.

***

المبحث الرابع:

الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين وضوابط قبول التفسير العلمي

المطلب الأول: الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين:

عند التأمل في أدلة المعارضين والمؤيدين يتضح للباحث ما يلي:

أولاً: قوة الأدلة التي ساقها كل طرف، وأهمية النظرة العلمية المتوازنة في أدلة الفريقين معًا.

ثانيًا: لعل من أقوى أدلة المؤيدين ـ إن لم يكن أقواها على الإطلاق ـ أن الأصل هو جواز التفسير بالرأي، وهو ما استقر عليه العمل عند العلماء دون نكير، ولا ريب أن التفسير العلمي نوع من أنواع اجتهاد المفسر برأيه في زيادة إيضاح معنى الآية، وهذا الدليل يجعل مهمة المانعين صعبة في إقناع المتخصصين بالمنع من التفسير العلمي، فهو ليس بدعة غير معروفة وإنما هو تفسير بالرأي والاجتهاد بحسب العلوم والمعارف التي تظهر للمفسر ويقتنع بصوابها.

ثالثًا: أما ما ساقه المعترضون من أدلة تؤكد وقوع الزلل لدى أكثر الخائضين في التفسير العلمي، وأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة فهي حجة لا تثبت عند النقد العلمي فوقوع الزلل ليس مبررًا للمنع بل يكفي أن توضع القيود الحائلة دون الوقوع في الخطأ، ولو تم التوسع في العمل بهذا المفهوم لربما خرج من يمنع من التفسير بالمأثور لوقوع الزلل

عند كثير ممن خاضوا فيه فكانوا كحاطب الليل، وجمعوا من الغرائب والمناكير والموضوعات ما يجزم المتخصصون بأن ضرره أكبر من نفعه، ومع ذلك فلا يسوغ المنع من التفسير بالمأثور خشية من الوقوع في أخطاء كالتي وقع فيها الثعلبي في (الكشف والبيان) على سبيل المثال.

رابعًا: أهمية ما ذكره المعترضون من أدلة والحاجة إلى اعتماد أكثرها كضوابط لقبول التفسير العلمي.

وخلاصة الأمر أن التفسير العلمي من أنواع التفسير بالرأي وأن منه ما يكون محمودًا جائزًا حين يصدر عن علم أو غلبة ظن، ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، ويكون صاحبه عالمًا باللغة العربية وأصول الشريعة الإسلامية عاملًا بضوابط قبول التفسير العلمي، ومن التفسير العلمي ما يكون مذمومًا محرمًا حين يصدر عن جهلٍ أو هوًى أو عنهما معًا، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي، وبالتالي فالأصل هو جواز التفسير العلمي ولكن بضوابط.

المطلب الثاني: ضوابط قبول التفسير العلمي:

اجتهد الباحثون المعاصرون في صياغة ضوابط لقبول التفسير العلمي استنبطوها في الغالب من أدلة المعترضين على التفسير العلمي، ولا سيما الشاطبي والخولي ومحمود شلتوت، لكن الذي يلفت نظر الباحث في هذا السياق خلو هذه الضوابط عندهم من ضرورة توافر شروط المفسر فيمن يفسر القرآن تفسيرًا علميًّا، ولو تم إعمال هذا الضابط لزالت معظم الأخطاء التي انتقدها المعترضون لظهورها في كتب التفسير العلمي.

ومعلوم أن الكثير ممن كتبوا ويكتبون في التفسير العلمي ليسوا من أهل الاختصاص العلمي في مجال القرآن وعلومه خصوصًا وفي مجال العلوم الشرعية عمومًا، وبالتالي فإنهم يفتقدون جملة من شروط المفسر منها:

الإلمام بالعلوم المتصلة بالقرآن: كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والخاص والعام، والعلم بالسنة النبوية صحيحها وضعيفها صريحها ومؤلها، والعلم باللغة العربية وأساليب البلاغة والبيان فيها، وهذا الضابط من الأهمية بمكان لأن إعماله سبب مباشر بإذن الله في تقويم مسيرة التفسير العلمي إلى حدٍّ كبير.

وقد اجتهد الدكتور مصطفى مسلم[1] في صياغة سبعة ضوابط لتفسير الآيات الكونية هي:

١- القرآن كتاب هداية وليس كتاب علوم وكونيات.

٢- ترك الإفراط والتفريط، أو عدم تحميل النصوص ما لا تحتمل.

٣- مرونة الأسلوب القرآني، وقبوله وجوهًا من التأويل.

٤- الحقائق العلمية مناط الاستدلال، فيجب الاقتصار عليها والابتعاد عن الفرضيات والنظريات.

٥- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة، فلا يجزم بأن هذه الحقيقة العلمية هي التفسير الوحيد للآية دون سواه بل يبقى دلالة الآية مفتوحة.

---

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم (ص:١٦٠).

٦- استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية، فإذا ظهر تناقض فقد تكون الآية القرآنية غير قاطعة في الدلالة على المقصود، أو قد تكون القضية العلمية غير ثابتة بل هي نظرية أو فرضية.

٧- اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة، بسلوك الأسباب الموصلة إلى حقائق المعرفة على وفق سنن الله التي أرشدنا إلى معرفتها.

وواضح أن بعض هذه الضوابط حصل فيها بعض التجوز، فهي أقرب إلى التوجيه والإرشاد منها إلى الشرط والضابط، ويتجلى ذلك في الضابط الأخير الذي سمَّاه الدكتور مصطفى مسلم: اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة، فهل يقبل التفسير العلمي إذا استوفى جميع الضوابط الستة، لكنها أخل بهذا الضابط الأخير، ولم يقم المفسر بالسير على المنهج القرآني في طلب المعرفة من خلال التعرف على السنن الكونية وتسخيرها لمصلحة الإنسان؟

ومع ذلك فإن بقية الضوابط لها أهمية كبيرة، ولصاحبها فضل السبق على كثير ممن جاء بعده من الباحثين فأفادوا من هذه الضوابط.

أما الدكتور فضل عباس[1] فقد اشترط لقبول التفسير العلمي خمسة شروط هي:

١- موافقة اللغة العربية موافقة تامة بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.

٢- عدم مخالفة صحيح السنة المرفوعة أو ما له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ.

(١) انظر: إعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل حسن عباس وسناء فضل عباس (ص:٢٦٨).

٣- موافقة سياق الآية.

٤- التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات.

٥- أن يكون التفسير حسب الحقائق العلمية الثابتة دون النظريات.

وهي شروط دقيقة لكنها قد لا تكون كافية لأن المفسر قد يجزم بأن تفسيره العلمي هو التفسير الصحيح للآية فيؤدي هذا إلى أن جميع من سبقه من السلف لم يفسروا الآية تفسيرًا صحيحًا، وقد يستغرق المفسر في التفسير العلمي إلى درجة تطغى على مقاصد القرآن الأساسية في الهداية والإرشاد، وهذا كله يحتاج إلى ضوابط تحد منه.

واقتصر الدكتور أحمد أبو حجر على اشتراط كون التفسير العلمي «مستندًا إلى الصريح من القول معتمدًا على اليقين الثابت من العلم ليكون مقبولًا عنده، أما إذا كان هذا التفسير قائمًا على الظن أو الوهم أو التعسف في التأويل»[1] فإنه يرفضه.

وحصر القبول في شرط وحيد هو كون التفسير العلمي معتمدًا على الحقائق العلمية دون النظريات لا يفي بالغرض ولا يقي من الغلط الذي وقع فيه كثير ممن خاضوا في التفسير العلمي.

واكتفى الدكتور فهد الرومي[2] بأربعة شروط إضافة إلى شرطه الأساسي وهو الاقتصار على الحقائق العلمية الثابتة «عند تناول النص القرآني مع إدراك معنى النص وفهمه فهمًا سليمًا خاليًا من الشوائب

(١) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص:١١٣).
(٢) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٦٠٤).

والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية»[١].

وهذه الشروط هي:

١- أن لا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإعجاز.

٢- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة.

٣- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بقوى الكون بما يعيد للأمة مجدها.

٤- أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها التفسير الذي لا يدل النص على سواه.

وقد أفاد الدكتور الرومي كثيرًا من أدلة المعترضين في صياغة هذه الشروط، وإن كان بعضها لا ينطبق عليه وصف الشرط أو الضابط بل هو أقرب إلى التوجيه العام الهادف إلى تحسين مسيرة التفسير العلمي، كما في الشرطين الثاني والثالث.

وتوسع الدكتور عبد الله المصلح[٢] كثيرًا في الضوابط فذكر أربعة عشر ضابطًا يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص القرآني بشكل واضح جدًّا.

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/ ٦٠٤).

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د. عبد الله المصلح (ص:٢٧) وما بعدها.

٢- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتًا قاطعًا وتوثيق ذلك توثيقًا علميًّا.

٣- جمع النصوص القرآنية والحديثية المتعلقة بالموضوع، ورد بعضها إلى بعض بما في ذلك القراءات الصحيحة وروايات الأحاديث بألفاظها المختلفة.

٤- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول أو نسخ.

٥- محاولة فهم النص على وفق فهوم العرب إبان نزول الوحي، مع الإلمام بمسائل معينة على فهم النص كتقديم النص على الظاهر، والظاهر على المؤول، وتقديم المنطوق على المفهوم، ومراعاة العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين، ومراعاة السياق وقاعدة العبرة بعموم اللفظ،وعدم تفسير حرف على معنى لا يقتضيه الوضع العربي، ومراعاة أوجه الأعراب وإمكانية حمل المشترك اللفظي على أحد معانيه دون نفي الآخر، أو القطع بأن هذا هو الصواب وحده ما لم تكن هناك قرينة راجحة.

٦- إظهار وجه الإعجاز بالربط بين الحقيقة الشرعية والعلمية بأسلوب واضح مختصر.

٧- عدم البحث في المتشابهات والأمور الغيبية.

٨- عدم الاعتماد على الإسرائيليات أو الروايات الضعيفة.

٩- الاعتماد على المصادر المعتبرة دون غيرها كأمهات التفسير والحديث، مع الإشارة إلى جهود الدراسات السابقة.

١٠- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف من علماء التفسير والحديث ورميهم بالجهل.

١١- حصر الدراسة فيما يقدر عليه الباحث دون التجاوز إلى ما هو أكبر من طاقته.

١٢- اليقين باستحالة مخالفة الوحي لحقائق العلم.

١٣- تحري الصدق والصواب وإخلاص النية لله واستشعار المسئولية.

١٤- أن يتصف الباحث بالصبر مع توفر الكفاءة العلمية المكتسبة.

ومع وجود التكرار والتداخل بين بعض هذه الضوابط إلا أنها تعد من وجهة نظر الباحث أفضل ما كتب في هذا المجال، ولو أنه اشترط ما أسلفنا الحديث حوله وهو: ضرورة توافر شروط المفسر فيمن يفسر القرآن تفسيرًا علميًّا لما احتاج إلى ذكر معظم هذه الضوابط.

وبعد هذه الجولة مع الضوابط التي وضعها الباحثون المتخصصون لقبول التفسير العلمي أعود فأدون هنا وباختصار شديد:

أبرز ضوابط قبول التفسير العلمي فيما ترجح لي:

١- ضرورة توافر شروط المفسر فيمن يتصدى للتفسير العلمي مع قدر كاف من المعرفة بالعلم التجريبي أو الكوني الذي يفسِّر القرآن على أساسه.

٢- أن لا يطغى التفسير العلمي على بقية مباحث التفسير، إلا إذا أفرد المؤلف كتابًا خاصًّا بالتفسير العلمي دون سواه.

٣- أن لا يجزم أن التفسير العلمي الذي يذكره هو وحده التفسير المقبول للآية.

٤- الاقتصار على الحقائق العلمية دون النظريات والفرضيات.

٥- عدم تحميل اللفظ القرآني ما لا يحتمله في اللغة العربية ليوافق التفسير العلمي المراد.

٦- عدم الخوض في الأمور الغيبيّة وإخضاعها للتفسير العلمي.

٧- عدم مخالفة تفسير نبوي أو إجماع للصحابة في تفسير آية ما.

***

الفصل الثالث

أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود والمقبول

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود.

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المقبول.

المبحث الأول:

أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن:٣٣].

فسرها عبد الرزاق نوفل[١]، وعبد الغني الخطيب[٢] وجمال الفندي[٣] بما توصل إليه العلم الحديث من غزو الفضاء، ومحاولة الوصول إلى الكواكب، فهذا هو النفاذ عندهم، والسلطان هو العلم التقني، ويرون بهذا أن القرآن سبق بالدعوة إلى غزو الفضاء.

ومما يُردّ به على هذا التفسير:

١- **مخالفة دلالة اللغة** فإن معنى النفاذ: «مجاوزة الشيء والخلوص منه، يقال: نفذ السهم من الرمية إذا خالط السهم جوف الرمية وخرج طرفه من الشق الآخر وسائره فيه»[٤].

وهذا ما لم يتحقق لرجال الفضاء، فلم يتجاوزوا عالمنا لعالم آخر كما أن السلطان في اللغة يطلق على الحجة والقدرة[٥].

---

(١) انظر: القرآن والعلم لعبد الرزاق نوفل (ص:٢١٨).
(٢) انظر: أضواء من القرآن على الإنسان، لعبد الغني الخطيب (ص:٢٥٠).
(٣) انظر: القرآن والعلم لجمال الدين الفندي (ص:٢٤٨).
(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (١/ ٣٧٣).
(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ٣٢١).

وفي استخدام مصطلح (غزو الفضاء) نظر فالغزو يكون لطرف آخر على عداوة مع الطرف الغازي، وفي الثقافة الغربية المعاصرة تصوير للعلاقة بين الخالق والمخلوق على أنها علاقة تحدٍ وحرب لأن الخالق ـ تعالى عما يقولون ـ أراد منع الإنسان من الوصول إلى العلم ليظل خاضعًا له، لكنه تحداه ووصل إلى المعرفة كما في أسطورة إيزيس المزعومة فعاقبه بحمل حجر كبير والصعود به إلى أعلى الجبل، ثم العودة من جديد أبد الدهر.

وليس بعيدًا عن الأذهان إطلاق مسمى (تشالنجر) أي: المتحدي على إحدى المركبات الفضائية التي انفجرت بُعيد إقلاعها بثوان في عام ١٩٨٦م.

٢- **مخالفة أصول البلاغة العربية:** ذلك أن المقام في هذه الآيات هو مقام تحدٍ وإعجاز.

فالمقصود نفي القدرة لا إثباتها؛ لأنه لا يصح أن يقال في التحدي: لا يمكنك فعل هذا الأمر إلا بعلمك وقدرتك، فليس هذا من بلاغة الأسلوب في التحدي.

٣- **تقديم ذكر الجن على الإنس يؤكد على معنى التحدي والإعجاز:** لأنه قال تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٨] وهي سابقة في النزول على سورة الرحمن[١].

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٩٤).

وقد أكد ذلك بنفي الانتصار لإتمام معنى التعجيز بقوله بعدها: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٥]. فلا يصح أن يقال أن غزو الفضاء بصورته اليوم انتصار، لأن الله قد نفاه وتوعد بإرسال الشواظ المحرق على من يحاول النفاذ من أقطار السموات والأرض.

٤- **مخالفة سياق الآيات:** فحين نتأمل الآيات نجدها تتحدث عن فناء الخلق وبقاء الخالق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وأن جميع الخلق يفتقرون إليه ويسألونه حاجاتهم ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]. وأنه سبحانه يهدد الجن والإنس بأنه سيفرغ لحسابهم يوم القيامة ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾، وهم لا يستطيعون الإفلات من سلطانه، بل يخضعون لحسابه وجزائه، وبهذا يتضح خطأ التفسير العلمي الذي قالوا به لأنه مخالف لسياق الآية ولغتها وبلاغتها.

٥- **هذه الآية تشبه قوله تعالى:** ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت:٢٢].

والأولى تفسير القرآن بالقرآن ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر:٥-٦].

فسَّرها محمود القاسم[1] بأننا إذا علمنا علم اليقين فبإمكاننا رؤية

(١) انظر: كتاب براهين، لمحمود القاسم (ص:١٥٧).

جهنم التي هي الجحيم في الدنيا رؤية بصرية وحاول أن يستدل على ما يقوله بأن الكتلة الكونية تتكون من نجوم ملتهبة كالشمس، لها كل صفات جهنم الواردة في القرآن والسنة؛ وكواكب باردة تدخل في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤]، لأن الكواكب الباردة هي حجارة مختلفة الأنواع مثل الأرض، وأن من رأى بعض الشيء يَصِحُّ أن يُقال أنه قد رآه كمن رأى جزءًا صغيرًا من البحر فيقول: رأيت البحر من باب إطلاق الجزء على الكل ... وبالتالي الكون (الدنيا) بكليته هو جهنم، وهي موزعة حاليًا على نُجوم مضطربة وكواكب خُنّس وغبار وغازات، والشمس جزء منها تمثلها وما علينا لنرى طبيعتها الجهنمية إلا أن نضع عيننا على عدسه نظارة فلكية خاصة نوجهها نحو الشمس.

ويُردّ على هذا التفسير بأمور منها:

١ - أنه تكلف ظاهر وتحميل للألفاظ بما لا تحتمله من المعاني.

٢ - أن فيه مخالفة لأساليب لغة العرب في خطابها.

٣- أن سياق السورة يأباه،فالسورة كلها تذم الغفلة التي أدت إلى التكاثر بالأموال والأولاد، حتى يأتي الإنسانَ الموتُ فيزور المقبرة ميتًا وحينئذٍ فإنه سيعلم يقينًا عاقبة لهوه وغفلته، وسيرى الجحيم أو العذاب، وسيُسأل عن نعم الله عليه من المال والولد ولماذا ألهته عن طاعة الله؟ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]. وبهذا فسّر جمهور المفسرين هذه السورة.

٤- زعمه أن الشمس لها كل خصائص جهنم الواردة في القرآن والسنة منقوض بما ثبت من وجود الحياة للبشر المعذبين في نار جهنم واستحالة حياة البشر في شمس الدنيا.

٥- أن جهنم من أمور الآخرة الغيبية التي لا يصح الخوض فيها دون علم ثابت من الكتاب أو السنة.

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ [المرسلات:١-٤].

فسَّرها أبو الفيض أحمد محمد الصديق الغماري[1]، بالطائرات الحربية فهي مرسلة وهي تعصف بقنابلها، وتلقي المنشورات في الميدان وعلى الأهالي للدعاية والإخبار وتفرق بين الكتائب والجموع فرقًا لأن الرعب والهزيمة بها أشد من غيرها فيفرق الناس منها ويهربون إلى الملاجئ.

ومقصوده أن هذا الاختراع الحديث قد سبق القرآن إلى ذكره قبل قرون طويلة من الكشف عنه.

ويرد على هذا التفسير بأمور منها:

١- مخالفة اللغة العربية: فتفسير الناشرات بإلقاء المنشورات مخالف لمعهود العرب ولغتهم عند نزول القرآن، وكذا تفسير الفارقات بتفريق الجموع في الميدان وبث الرعب المؤدي للهروب إلى الملاجئ كل ذلك مخالف لمعنى اللفظ في لغة العرب.

---

(١) انظر: مطابقة المخترعات العصرية، لما أخبر به سيد البرية لأحمد الصديق الغماري (ص:١٦).

٢- الانحراف بالسياق فالآيات تشير إلى أن ما يوعد به الناس وهو يوم القيامة واقع متحقق وقد أقسم الله على ذلك في مطلع السورة بالمرسلات، ولا علاقة لهذا السياق بما ذهب إليه الغماري.

٣- أن للسلف في معنى المرسلات قولان: الرياح والملائكة[١] وهو إجماع يمنع إحداث قول جديد في المسألة.

٤- أن مثل هذا التفسير الإشاري بمعنى لا يظهر في اللفظ القرآني ولا يسنده السياق يفتح الباب على مصراعيه لتحميل القرآن ما لا يحتمله من إشارات، يقول من خلالها من دون ضابط من شاء ما شاء فلو زعم زاعم سبق القرآن إلى ذكر اختراع السيارات مستدلًا بقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ فهل يُقبل منه لمجرد ورود اللفظ مع أن معنى اللفظ الذي يعرفه المعاصرون الآن للسيارة مخالف لمعناه في معهود العرب وقت نزول القرآن؟!

وقد انتقد محمد عبده هذا التفسير للمرسلات بالطائرات لأن في قسم الله بشيء من مخلوقاته تنبيه على شرفه ونفعه وليس في هذه الطائرات الحربية التي تهلك الحرث والنسل شرف ولا نفع للبشرية بل هي من وسائل الدمار[٢].

لكن هذا الانتقاد لا يسلم لمحمد عبده فإن الطائرات الحربية مجرد وسيلة قد تكون وسيلة للجهاد في سبيل الله ورد العدوان وحماية الأوطان

(١) انظر على سبيل المثال: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٥٥)، وروح المعاني للآلوسي (٩/ ٢٥٨).

(٢) انظر: تفسير جزء عم لمحمد عبده (ص:٩).

فتكون وسيلة شريفة نافعة، وقد تكون وسيلة للعدوان وقتل الأبرياء وانتهاك المحرمات فتكون حينئذٍ وسيلة غير شريفة، شأنها في ذلك شأن العاديات وهي الخيل التي أقسم الله بها في قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات:١] فقد تستخدم للإغارة على الآمنين والعدوان على المؤمنين، وقد تستخدم للجهاد في سبيل الله فلا يصح ذم الطائرات الحربية على الإطلاق.

المثال الرابع: عند قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١].

فقد فسر الدكتور محمد توفيق صدقي[1] الملائكة هنا بالميكروبات حيث قال: «وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الأجنحة للملائكة يمكن أيضًا تطبيقها على الميكروبات فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهدابًا مثنى كما في ميكروبات الكوليرا ولا شكَّ أن الجناح يطلق على الجنب واليد والعضل والإبط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه:٢١] فلا مانع من إطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الأيدي للميكروبات».

بل إنه اعتبر الريح والرعد ملكين بمعنى رسولين لأن الملك مشتق من مألكه وهي الرسالة أو من لفظ لأك إذا أرسل فكل ما يرسله الله لهذا العالم من المادة أو قواها يصح لغة أن يسمى ملائكة كالمغناطيس والكهرباء، وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٤] فزعم أن

(١) انظر: دروس سنن الكائنات لمحمد توفيق صدقي (ص:٢٢٨).

غمرات الموت ما بعده وهو وقت انحلال الجثة وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والأرض ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ والتعبير عن الميكروبات بضمير العامل (أي الملائكة) هو سنة القرآن من أوله إلى آخره...»[1].

ويرد على هذا التفسير بأمور منها:

١- هذا القول متهافت من حيث اللغة والشرع ويصادم معتقد أهل السنة والجماعة في الملائكة وهم خلق مكرمون ليسوا ميكروبات ولا ما في حكمها من الخلق المهين.

٢- أن لفظ الملائكة وقد أصبح حقيقة شرعية وعرفية لا يجوز أن ينقل عن هذه الحقيقة إلى سواها، حتى ولو كان المعنى الذي اشتقت منه لا يتعارض معه.

٣- ومن حيث العقيدة فإن الملائكة عالم غيبي يجب التصديق بهم وبما أخبر الله من أعمالهم، ومنها قبض الأرواح والطيران بالأجنحة.

٤- وقد ورد في صحيح السنة النبوية ما يثبت هذه الصفات لهم كما في حديث رؤية النبي ﷺ لجبريل على هيئته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح وقد سد الأفق[2].

٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾، وقوله:

---

(١) انظر: دروس سنن لكائنات (ص:٢٢٨).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٩٤)، برقم (٣٢٧٧)، وقال: حديث حسن غريب صحيح.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ نصّان على أن الملائكة هي المرسلة لقبض الأرواح ولا يصح أن يقال أنها الميكروبات.

٦- حمل ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ على أنها ما بعد الموت حين تحلل الجثة مخالف لمعهود العرب في لغتهم فغمرات الموت هي سكراته التي تحدث قبيل الموت وليس بعده.

٧- نصت الآية على الظالمين في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾، ولو كان المقصود تحلل الجثث بفعل الميكروبات فما فائدة تخصيص الظالمين لأن هذا التحلل يقع على جثث الجميع، الظالمين وغيرهم.

٨- أنكر الله على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثة لأنهم يتكلمون عن شيء يجهلونه فقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩]، ومن يصف الملائكة بالميكروبات يتحدث عن شيءٍ يجهله فهل شهد خلقهم؟!

٩- هذا القول يفتح الباب لتأويل جميع حقائق الغيب من جنة ونار وعذاب قبر وحشر وصراط وميزان، ونحو ذلك ببعض ما يحمله الأصل الاشتقاقي لكل كلمة من هذه الكلمات وهو تلاعب بآيات القرآن.

المثال الخامس: عند قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥].

قال الدكتور زغلول النجار: «أتيت بالمصحف الشريف وبالجدول الدوري للعناصر وكتاب في الكيمياء غير العضوية، فأذهلني أن رقم سورة

الحديد ٥٧ والحديد له ثلاث نظائر (٥٤، ٥٦، ٥٧) ورقم الآية في السورة ٢٥ والعدد الذري للحديد ٢٦ فقلت هذا القرب الشديد لابد أن له تفسيرًا فألهمني ربي آية قرآنية مبهرة يقول فيها الحق تبارك وتعالى مخاطبًا هذا النبي الخاتم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، فالقرآن بنصه يفصل الفاتحة عن بقية القرآن الكريم ويعتبر الفاتحة مقدمة القرآن فقلت إذا فصلنا الفاتحة عن بقية سور القرآن الكريم يصبح رقم سورة الحديد (٥٦) ولو بقيت ٥٧ ففيه نظير للحديث (٥٧) لكن أكثر النظائر انتشارًا للحديد (٥٦).

الآية رقمها (٢٥) والعدد الذري للحديد (٢٦) ووجدت القرآن يصف الفاتحة بأنها سبع من المثاني وآياتها ست فالبسملة آية من الفاتحة وآية من كل سورة قرآنية ذكرت فيها البسملة ما عدا سورة التوبة، فإذا أضفنا البسملة في مطلع سورة الحديد يصبح رقم الآية ٢٦، ويعجب الإنسان إلى هذه اللفتة المبهرة، من الذي علم المصطفى ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة لم يكن أحد يعلم شيئًا عن الأوزان الذرية ولا عن أعدادها الذرية»[(١)].

ويرد على هذا التفسير العلمي بأمور منها[(٢)]:

١- مخالفة صحيح السنة النبوية: فقد جزم الدكتور زغلول النجار بأن القرآن بنصه يفصل الفاتحة عن بقية القرآن الكريم بينما أخرج البخاري

(١) محاضرة مسجلة له بعنوان: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) لدى تسجيلات (أُحُد بالرياض).

(٢) أجاد الدكتور مساعد الطيار في الرد على هذا التفسير العلمي، وقد لخصت رده هنا باختصار شديد.. انظر: مفهوم التفسير والتأويل للدكتور مساعد الطيار (١٠-١٣).

قول النبي ﷺ: «**أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**»[١]، قال ابن كثير: «فهذا نص على أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم»[٢].

٢- عدد آيات سورة الحديد مختلف فيه: فلماذا اختار الدكتور زغلول أحد الآراء دون غيره. والجمهور على أنها ٢٨ آية وإذا أخذنا بذلك فإن رقم الآية المذكورة يكون ٢٤ وهذا يرد ما توصل إليه[٣].

٣- البسملة ليست آية من كل سورة عدا الفاتحة على الصحيح من أقوال أهل العلم، واختيار الدكتور هذا القول المرجوح غير مسلّم له، وهل كان الدكتور سيختار هذا القول لو أدى إلى نتيجة لا تؤيد قوله؟!

٤- هذا القول فيه تكلف ظاهر حمل عليه الدخول إلى تفسير الآية بمقرر علمي تجريبي سابق أفصح عنه الدكتور في مقدمة كلامه.

وسوف أقتصر فيما تبقى من الأمثلة على ذكر المفسر وتفسيره العلمي الخاطئ باختصار شديد لتجنب الإطالة ووضوح الخطأ.

المثال السادس: ربط طنطاوي جوهري بين قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]، وبين علم تحضير الأرواح[٤] وهو علم محرم قائم على السحر والشعوذة.

كما ربط طنطاوي جوهري بين قوله: ﴿ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٧).
(٣) أنظر: البيان في عد آي القرآن للداني. تحقيق:د. غانم الحمد.
(٤) انظر: الجواهر في تفسير القرآن لطنطاوي جوهري (١/ ٨٤).

[النساء:١٣٥]، وبين اكتشاف ما يسمى بمصل الصدق بواسطة الطبيب هاوس واسم المصل (اسكوبلامين) وهو يجعل صاحبه يقرّ بالحق ولو على نفسه أو والديه.

المثال السابع: تفسير عبد الرزاق نوفل[١] في كتابه القرآن والعلم الحديث الدابة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢]. بالأقمار الصناعية في الفضاء، وفيه مخالفة للسنة حيث ورد النص على خروج الدابة ضحى وأنها من علامات الساعة الكبرى.

المثال الثامن: تفسير: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:٢]، بالبترول والغاز عندما زلزلت الأرض وحركت بالآلات وهو تفسير أبي الفيض الغماري[٢] وفيه مخالفة لسياق الآيات التي تتحدث عما يحصل يوم القيامة وليس في الدنيا كما أنه مخالف للتفسير النبوي الذي نص على أن إخبارها شهادتها على كل عبد وأمه بما عمل على ظهرها[٣].

***

(١) انظر: القرآن والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل (ص:٢١٢).
(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٠)، برقم (٢٩٤١).
(٣) انظر: مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية (ص:٢٧).
الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨١)، برقم (٣٠١٢) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

المبحث الثاني:

أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المقبول

المثال الأول: عند قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

أشار د. زكريا هميمي إلى أن هذه الآية فصّلت أطوار الخلق ووصفتها وصفًا مبهرًا لا من ناحية المظهر الخارجي فحسب، ولكن أيضًا من حيث ميكانيكية عملية التخليق الداخلية التي تتم في كل طور منها.. حيث تم تقسيم مراحل تطور الجنين إلى ثلاث مراحل رئيسية: النطفة، التخليق (المرحلة الجنينية) مرحلة النشأة خلقًا آخر (مرحلة الحميلية) وحتى قرب نهاية القرن التاسع عشر الميلادي كان علماء الأجنة منقسمين إلى فريقين في هذه المسألة.

منهم من يرى أن الإنسان يكون مخلوقًا (خلقًا تامًّا في الحيوان المنوي في صورة قزم. ومنهم من يعتقد بأن الإنسان يخلق خلقًا تامًّا في بيضة المرأة بينما بين القرآن مسئولية كل منهما في عملية التخليق ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق:٥-٧].

الصلب: الظهر. **الترائب:** وهي عظام ما بين الثديين في المرأة. وكلمة نطفة تدل على محدودية السائل، وهذا يتفق مع حقائق العلم الحديث، وورد ذكر النطفة في القرآن في اثني عشر موضعًا، ووصف الرحم بأنه (قرار)

و(مكين) ينطبق على ما عرفه علماء الأجنة بعد نزول الآية بقرون من كونه أكثر المواضع أمانًا وحماية في جسد المرأة.

ثم أشار إلى معنى العلقة والمضغة والعظام في مرحلة التخليق التي تبدأ من الأسبوع الثاني وحتى نهاية الثامن والعلقة في اللغة تأتي بمعنى التعلق والإلتصاق بالشيء، وبمعنى الدم الغليظ الجامد شديد الحمرة وبمعنى دودة الماء التي تلتصق بالحيوانات وتتغذى بدمائها وهو ما ينطبق على الجنين في هذه المرحلة حيث يلتصق بالمشيمة ويتغذى من دماء الأم، وأما المضغة فمن معانيها ما لاكته الألسن، وقطعة اللحم بقدر ما يمضغ لا استبانة فيها ولا تمايز؛ ولا شكل فيها ولا تخطيط، وهو ما ينطبق على الجنين في هذه المرحلة، حيث يبدأ ظهور الكتل البدنية المعروفة بالفلقات بمظهر يشبه طبع الأسنان في المادة الممضوغة.

ثم يأخذ ظهر الجنين بالانحناء والتقوس مثلما تستدير المادة الممضوغة قبل البلع، إلى آخر ما فسّر به هذه الآيات تفسيرًا علميًّا مقبولًا[1].

المثال الثاني: عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور:٤٣].

أشار الأستاذ رشيد رشدي العابري إلى أن: لحصول المطر عوامل ثلاثة لا غيرها إذا توافرت لابد من نزول المطر ـ بإذن الله ـ «وإن نقص

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن لزكريا همي (ص:٩١-١٠٤) بتصرف، وانظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لمحمد السيد أرناؤوط (ص:٢٩٤) وما بعدها، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد علي البار (ص:٣٦٥)، وما بعدها، وإنه الحق للشيخ عبد المجيد الزنداني (ص:١٧)، وما بعدها.

عامل واحد منها فلا إمكان لذلك تلك العوامل هي:

١- التبخير.

٢- إشباع الهواء بكمية البخار.

٣- التكاثف.

وقد جاءت الآية بوصف موجز مدهش لهذه العوامل مرتبة إذ عبّرت بكلمة: ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾ عن عملية التبخر، وبكلمة: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ عن تشبع الهواء ببخار الماء إذ أن درجة الإشباع تتوقف على تساوي الجزيئات بين الماء والهواء، وما هذا إلا التآلف بينها، كما في نص الآية، ولا يحصل التشبع إلا بالتعادل والتآلف بين ضغطي بخار الماء وبخار الهواء، ثم جاء التعبير بقوله: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ على سبيل التعاقب، ليدل على التكاثف، وفي معاجم اللغة تفسير الركام بالسحاب الكثيف، والمقصود هنا الكثيف البخار، نتيجة تشبع الهواء منه ولما بينت الآية هذه العوامل الثلاثة بينت النتيجة وهي حصول المطر بقوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ فالودق المطر والفاء التعقيبيّة للدلالة على سرعة حصوله بعد هذه العوامل، وهذا ما لم يعرفه العلماء إلا منذ مدة قصيرة وقد ذُكر في القرآن»[1].

المثال الثالث: عند قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر:٢٢].

أشار الأستاذ محمد السيد أرناؤوط إلى أن الآية فُسرت بأن الرياح

(١) انظر: بصائر جغرافية لرشيد رشدي العابري (ص:٢١١)، وإعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل عباس (ص:٢٧٦).

لواقح للنباتات وهي حقيقة علمية واقعية لكن الآية تشير كذلك إلى معنى لم يفهم على وجه الدقة إلا حديثًا وهو أن الرياح لواقح للسحب بما يؤدي إلى نزول الماء من السماء وهو ما يربط أجزاء الآية فإن الرياح تحمل بخار مياه الأرض في كل الاتجاهات ثم يتكاثف بالتبريد، وبالتشبع تتكون السحب، وأثناء ذلك تشحن بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء السالبة فتحملها الرياح وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحنًا وافرًا بالكهرباء، وعندما تقترب الشحنتان من بعضهما بواسطة الرياح يتم التفريغ الكهربائي، ويشاهد البرق ثم يسمع الرعد وهو موجات صوتية يحدثها الهواء باندفاعه إلى حيث تم التفريغ بالبرق ثم تنزل قطرات الماء من السماء، وقد توصل العلم الحديث إلى توليد الرياح للكهرباء بنوعيها في السحب وهو التلقيح بواسطة الرياح للسحب بعضها ببعض...[١].

المثال الرابع: عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

أشار الدكتور الحاج محمد وصفي أنه رغم محاولته لم يجد كلمة تقوم مقام كلمة: ﴿أَذًى﴾ في وصف المحيض، وبيّن أن مقاومة المرأة للأمراض تكون أثناء الحيض في أضعف فتراتها، وأنه سبب للالتهابات وانتقال البكتيريا والأمراض الإفراط بينهما، وقد يؤدي إلى العقم وتعفن الرحم[٢].

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن لمحمد السيد أرناؤوط (ص:٢٦٠)، والقرآن في عصر العلم لمحمد الغمراوي (ص:٣٥٢).

(٢) انظر: القرآن والطب للدكتور الحاج محمد وصفي (ص:٦٦)، وانظر: القرآن والطب لأحمد محمود.سليمان (ص:١١٥)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٢/ ٦١٨).

المثال الخامس: عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل:٦٦].

أشار الأستاذ أحمد كامل ضو: إلى أن ما في بطون الأنعام هو الغذاء والجهاز الهضمي يُمتص الصالح منه فيذهب للدم، ويغذي أجزاء الجسم المختلفة، ومنها الغدد اللبنية (ضرع الحيوان) المنوط بها إفراز اللبن، وبهذا تحول جزء مما في بطون الأنعام إلى لبن.

أما الجزء الآخر من الغذاء فإنه يتحول إلى براز غير صالح وهو الفرث، وبقدرة الله شطر الغذاء الذي في البطون إلى شطرين: الدم والفرث، وأخرج من بينهما اللبن خالصًا من الشوائب ناصع البياض طاهرًا بعكس الدم الذي نقل الغذاء فهو أحمر ونجس، وهذه الغدد اللبنيّة أشبه بمعمل كيميائي يحول الدم إلى لبن ثم يُصَفَّى بأدق مصفاة، وكونه سائغًا للشاربين يتضمن سهولة مروره في الحلوق،وحلاوة طعمه مع ما فيه من الدهون والسكريات والأملاح والفيتامينات والماء، فهو يحتوي على جميع العناصر الغذائية التي يحتاجها الإنسان ويعتبر بحق أهم الأغذية على الإطلاق[1].

المثال السادس: عند قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة:٤].

أشار الشيخ عبد المجيد الزنداني إلى أن المراد بالبنان أطراف الأصابع،

(١) انظر: القرآن الكريم والعلوم الحديثة لأحمد كامل ضو (ص:٥٦)، وما بعدها بتصرف، والتفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص:٤٥٠).

وأن المراد بتسويتها إعادتها إلى هيئتها الأولى بعد أن تبلى، ثم تساءل: أيهما أصعب إعادة البنان أم إعادة العظام.

وأجاب قد يتساوى الأمران عند النظرة الأولى، ولكن إذا عرفنا أن لكل إنسان رسمًا خاصًّا لبنانه لا يشابهه رسم لبنان أي إنسان آخر وقد استخدمت البصمات في التعرف على الشخصية، إذا عرفنا ذلك عرفنا السر الذي اختفى طويلًا من معنى هذه الآية أي أن في قدرتنا ليس جمع العظام فحسب بل وما هو أكبر منه وأدق وهو تسوية البنان أي إعادة تلك البنان بخطوطها التي يتميز بها كل إنسان على انفراده[1].

وأشار الدكتور مصطفى مسلم إلى ما اكتشفه علماء الطب في القرن التاسع عشر الميلادي من أن الخطوط الدقيقة الصغيرة الموجودة على البشرة في رؤوس الأصابع تختلف من شخص لآخر، وتكون على ثلاثة أنواع: أقواس، عراوٍ، دومات بمعنى دوائر متحدة المركز وتظهر في جلد الجنين في بطن أمه وعمره بين (١٠٠-١٢٠) يومًا، وتتكامل تمامًا عند مولده ولا تتغير مدى الحياة مهما عرض له من حروق وإصابات، كما أنها لا تتطابق بين أي شخصين، بل لابد من فوارق تميز بينهما وهو ما سُمي بعلم البصمات الذي ابتدأ تطبيقه عام ١٨٨٤م.

وتبرز عظمة الخالق في تشكيل هذه الخطوط في مساحة ضيقة لا تتجاوز بضعة سنتيمترات ولا تنحصر دلالة الآية على هذا الجانب فقط فقد

---

(١) انظر: التوحيد لعبد المجيد الزنداني (ص:٣٥٧).

يأتي يوم تكتشف فيه أسرار ربانية أخرى في تسوية البنان[١].

المثال السابع: عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

أشار د. صلاح الدين خطاب إلى ما قرره الأطباء بعد قرون من نزول الآية من أن حدود الشعور بألم الكي يكون في الجلد السطحي، فلو احترق الجلد ووصل إلى اللحم لما كان هناك شعور بالألم بدرجة الحالة السابقة لأن الأعصاب التي تشعر بالألم موجودة في الجلد الخارجي، أما الأنسجة والعضلات الداخلية فالإحساس فيها ضعيف فكأن الآية تبين أن النار كلما أنضجت الجلد الذي يحتوي على أعصاب الإحساس بالألم جُددت هذه الجلود بجلود جديدةٍ ليستمر الشعور بالألم[٢].

المثال الثامن: عند قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

أشار د. أحمد عمر أبو حجر إلى أن وجه التشبيه بين حال الكافر ومن يصعد في السماء صار أكثر وضوحًا نتيجة ما ثبت من كون الأكسجين الموجود في الغلاف الجوي يقل كلما صعد الإنسان في طبقات الجو إلى أعلى،

---

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى (ص:٢٢٢)، والقرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم (ص:١١).

(٢) انظر: الجانب العلمي في القرآن الكريم لصلاح الدين خطاب (ص:٤٩)، بتصرف. وانظر: مباحث في إعجاز القرآن (٢٢٥).

حتى تصبح كمية الأكسجين اللازم لعملية التنفس غير كافية فيشعر الإنسان بالاختناق وضيق الصدر وقد يصل إلى مرحلة عدم إمكانية الحياة[١].

***

(١) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان (ص:٤٥٣)، والكون بين العلم والدين، لجمال الدين الفندي (ص:٣٦).

الخـاتمـة

وبعد هذه الجولة مع التفسير العلمي أعود إلى التأكيد على بعض ما تضمنه هذا البحث من نتائج ثم أختم بذكر جملة من التوصيات على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١- التفسير العلمي مصطلح حديث قد يوهم بأن ما عداه من أنواع التفسير كالتفسير العقدي والفقهي ليست علمية، والأولى تقييده بالعلمي التجريبي أو الكوني أو نحو ذلك.

٢- التعريف المختار للتفسير العلمي هو: استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

٣- وقوع الخلط بين مفهومي التفسير العلمي والإعجاز العلمي كان سببًا في تباين المواقف من التفسير العلمي الذي يعد وسيلة للقول بالإعجاز العلمي وهو أوسع دائرة منه وبينهما عموم وخصوص.

٤- التفسير العلمي ليس مجرد طريقة ومنهج من مناهج المفسرين بل هو مقصد وهدف واتجاه من اتجاهات التفسير المعاصرة.

٥- قلة المهتمين بالتفسير العلمي من العلماء السابقين وتركيزهم على التأييد النظري له في مقابل كثرة الممارسين للتفسير العلمي من المعاصرين وإفرادهم له بمؤلفات مستقلة عن أغراض التفسير الأخرى.

٦- الشاطبي هو أبرز المعارضين للتفسير العلمي لما فيه من التكلف

وتفسير ألفاظ القرآن على غير معهود العرب وقت نزوله.

٧- حجج المعارضين تغلب جانب درء المفسدة ولا سيما بعد ما رأوه من أخطاء فاحشة في تفسير طنطاوي جوهري وهو من أوائل كتب التفسير العلمي.

٨- أسهم المعترضون على التفسير العلمي في تحسن مسيرته ومحاولة المؤلفين فيه تجنب ما انتقده المعارضون.

٩- أبان البحث عن عدم معارضة أبي حيان ومحمد رشيد رضا والزرقاني وسيد قطب للتفسير العلمي كما ظن بعض الباحثين.

١٠- كثرة المؤيدين للتفسير العلمي وزيادتهم المستمرة وتفاوتهم في درجة التأييد مع اختلاف تخصصاتهم العلمية.

١١- أقوى أدلة المؤيدين هو أن الأصل جواز التفسير بالرأي والتفسير العلمي نوع منه فهو اجتهاد للمفسر بحسب معارفه في زيادة إيضاح معاني القرآن.

١٢- أهم الضوابط لقبول التفسير العلمي هو: توفر شروط المفسر فيمن يتصدى للتفسير العلمي وهو الضابط الذي لم يشر إليه معظم الباحثين المعاصرين.

١٣- الحاجة إلى استمرار الدراسات التأصيلية النقدية في التفسير العلمي نظرًا لنشاط حركة التأليف في الجانب التطبيقي منه.

ثانيًا: التوصيات:

أولاً: قيام الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمنح رخصة للتفسير العلمي للمؤهلين لهذه المهمة الذين توافرت فيهم شروط المفسر مع قدر من العلم التجريبي المتخصص الذي يفسرون القرآن على أساسه.

مما يؤدي مستقبلاً إلى:

أ- قطع الطريق على غير المؤهلين الذين لا يمتلكون هذه الرخصة.

ب- تشجيع الباحثين على طلب هذه الرخصة واستكمال شروطها.

ثانيًا: تنظيم الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة دورات مكثفة متخصصة للراغبين في الحصول على رخصة التفسير العلمي الذين لا تتوفر فيهم شروط المفسر ويتم التركيز في هذه الدورات على العلوم الضرورية للمفسر.

ثالثًا: عدم إجازة أي كتاب في التفسير العلمي من قبل جهات الرقابة على المطبوعات إلا بعد إحالته للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأخذ رأيها العلمي في صلاحيته. أسوة بكتب التفسير التي لا تُجاز إلا بعد الرجوع إلى جهات الإفتاء.

رابعًا: تشجيع العمل الجماعي المؤسسي في مجال التفسير العلمي بحيث يكون الفريق مكملًا نقص كل فرد من أفراده في مجالات العلوم الشرعية أو العلوم التجريبيَّة المختلفة.

خامسًا: إصدار موسوعة ضخمة معتمدة للتفسير العلمي من خلال الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة تشمل التفسير العلمي المقبول في الآيات ذات المضامين العلمية التجريبيّة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

المصادر والمراجع

١- **إبراهيم**: محمد إسماعيل: القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٧.

٢- **أبو حجر**: أحمد عمر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

٣- **أحمد**: حنفي:التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

٤- **ارناؤوط**:محمد السيد: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى.

٥- **الإسكندراني**: أحمد: كشف الأسرار النورانية القرآنية ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، المطبعة الوهبية.

٦- **إسماعيل**: عبد العزيز: الإسلام والطب الحديث، الطبعة الثانية ١٩٥٩م، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.

٧- **الأصفهاني**: الراغب: المفردات في ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داودي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق.

٨- **الأفريقي**: أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

٩- **الآلوسي**: أبو الفضل شهاب الدين محمود: روح المعاني: في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

١٠- **الآلوسي**:محمود شكري: ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة والقويمة البرهان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١.

١١- **الأندلسي**: أبوحيان: البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

١٢- **أنيس**: إبراهيم:المعجم الوسيط، وعبد الحليم منتصر، وغيرهما، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

١٣- **الأهدل**:عبد الله بن عبد الله: التفسير العلمي للقرآن،دراسة وتقويم بحث لنيل درجة الماجستير، ، ١٤٠٢هـ.

١٤- **البار**: محمد علي: خلق الإنسان بين الطب والقرآن،الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٥- **البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٦- **بن نبي**: مالك: الظاهرة القرآنية، تقديم محمود شاكر، دار الفكر.

١٧- **بوكاي**:موريس:التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن مصر، الطبعة الأولى.

١٨- **التركي**: البشير: الإعجاز العلمي في القرآن، الطبعة الأولى.

١٩- **الترمذي**: أبو عيسى محمد بن عيسى:سنن الترمذي، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٠- **جمال**: أحمد محمد: على مائدة القرآن، مع المفسرين والكتاب، الطبعة الثانية ١٣٩٤، دار الفكر بيروت.

٢١- **الجميلي**:السيد: الإعجاز الطبي في القرآن، دار التراث العربي ١٤٠٠، القاهرة.

٢٢- **جوهري**: طنطاوي: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، انتشارات آفتاب تهراب.

٢٣- **الحراني**: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: النبوات، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢٤- **حسب النبي**: منصور:الكون والإعجاز العلمي للقرآن، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٢٥- **حسين**: محمد كامل: الذكر الحكيم، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م.

٢٦- **الحفني**: عبد المنعم: من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٢٧- **الحمد**:غانم قدوري: محاضرات في علوم القرآن، دار عمار ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٨- **الحميد**: عبد الكريم بن صالح:الفرقان في بيان إعجاز القرآن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٩- **الخالدي**: صلاح عبد الفتاح: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣٠- **الخالدي**:صلاح عبد الفتاح: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣١- **الخالدي**:صلاح عبد الفتاح: البيان في إعجاز القرآن، دار عمار ـ الأردن ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٣٢- **خان**: وحيد الدين: القرآن والكشوف الحديثة، ترجمة د. عبد الصبور شاهين نشرة مجلة ظفر الإسلام، الهند، الطبعة الأولى.

٣٣- **خطاب**: صلاح الدين: الجانب العلمي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الناشر العربي.

٣٤- **الخطيب**: عبد الغني: أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة، دار الفتح، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٣٥- **الخولي**: أمين: التفسير، معالم حياته، ومنهجه اليوم، جماعة الكتاب، ١٩٤٤م، وطبعة دار الكتاب اللبناني الأولى، ١٩٨٢م.

٣٦- **دروزة**: محمد عزة: القرآن المجيد، المكتبة العصرية، لبنان.

٣٧- **الذهبي**: محمد حسين: التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.

٣٨- **الرازي**: الفخر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الطبعة الأولى، الناشر عبد الرحمن محمد، القاهرة.

٣٩- **رضا**:محمد رشيد: تفسير المنار، الطبعة الرابعة، دار المنار، مصر، سنة ١٣٧٣هـ.

٤٠- **الرومي**: فهد بن عبد الرحمن: دراسات في علوم القرآن الكريم ـ مكتبة التوبة ـ الرياض، الطبعة التاسعة ١٤٢١هـ.

٤١- **الزرقاني**: محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء

الكتب العربية، القاهرة .

٤٢- **الزركشي**: بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة ١٤٠٠، دار الفكر، بيروت.

٤٣- **زكي**: أحمد: مع الله في السماء، كتاب الهلال رقم ٣١١، ١٩٧٦م.

٤٤- **الزنداني**: عبد المجيد: آيات الله في الآفاق، الطبعة الأولى.

٤٥- **الزنداني**: عبد المجيد وآخرون: إنه الحق، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة ـ الطبعة الثالثة ـ ١٤٢٠هـ..

٤٦- **الزنداني**: عبد المجيد وآخرون: إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر ، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٤٧- **الزنداني**:عبد المجيد: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الارتفاعات العالية والإحساس بالألم. ود. صلاح الدين المغربي. ود. سالم المحمود رابطة العالم الإسلامي ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٢١هـ.

٤٨- **الزنداني**:عبد المجيد: التوحيد، مقرر على طلاب المرحلة الإعداد باليمن، وزارة التربية والتعليم اليمنية، طبعة ١٩٩٩م.

٤٩- **الزنداني**:عبد المجيد: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ود. سعاديلدرم ومحمد الأمين ولد محمد ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٥٠- **سامي**: محمد علي: الإعجاز العلمي في القرآن، الطبعة الأولى، بدون بيانات.

٥١- **السجستاني**: أبوداود سليمان: سنن أبي داود، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٢- **سليمان**: فهد بن عبد الرحمن: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥٣- **سليمان**: أحمد محمود: القرآن والطب، دار العودة، بيروت، دار الكتاب العربي، طرابلس.

٥٤- **السيد**:غنيم كارم: إعجاز القرآن على مر الأزمان، جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، مصر، الطبعة الأولى.

٥٥- **السيوطي**:جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ، مصطفى الحلبي بمصر.

٥٦- **شحاتة**: عبد الله: تفسير الآيات الكونية، الطبعة الأولى.

٥٧- **الشرقاوي**: عفت: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، جامعة عين شمس ١٩٧٢م.

٥٨- **شريف**:محمد إبراهيم: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٢، دار التراث، القاهرة.

٥٩- **الشعراوي**: محمد متولي: معجزة القرآن ـ مكتبة دار التراث الإسلامي ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

٦٠- **الشعراوي**:محمد متولي: معجزة القرآن، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٦١- **شلتوت**: محمود: تفسير القرآن الكريم [الأجزاء العشرة الأخيرة]: طبعة دار الشروق الخامسة، ١٩٧٣م.

٦٢- **الشوكاني**: محمد بن علي: فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ.

٦٣- **الصالح**: صبحي: معالم الشريعة الإسلاميّة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

٦٤- **الصباغ**: محمد: لمحات من علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٥- **صدقي**: محمد توفيق: دروس سنن الكائنات، الطبعة الأولى، بدون بيانات.

٦٦- **الصيرفي**: حمزة: الإعجاز العلمي في القرآن: ، الطبعة الأولى.

٦٧- **ضو** : أحمد كامل: القرآن الكريم والعلوم الحديثة، الطبعة الأولى.

٦٨- **ضيف**: شوقي: سورة الرحمن وقصار السور، دار المعارف، بمصر ١٩٧١م.

٦٩- **الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، بمصر.

٧٠- **الطراونة**:سليمان: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم... الكون والماء، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٧١- **الطيار**: مساعد بن سليمان:مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٧٢- **الطير** : مصطفى محمد الحديد: اتجاهات التفسير في العصر الحديث:منذ عهد الإمام محمد عبده، إلى مشروع التفسير الوسيط، العدد ٨٠، سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩٥، مجمع البحوث الإسلامية.

٧٣- **عاشور**: الطاهر: التحرير والتنوير، نشر الدار التونسية، ١٩٨٤م.

٧٤- **عباس**:فضل حسن: إعجاز القرآن الكريم، وسناء فضل عباس، طبعة دار الفرقان الأردن، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧٥- **عبد الحميد**: سليم:موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن، الطبعة الأولى.

٧٦- **عبد الحميد**:محي الدين: الموافقات:للشاطبي،الطبعة الأولى، مكتبة محمد علي مصر.

٧٧- **عبده**: محمد: تفسير جزء عمّ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ١٣٨٧، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٧٨- **العثيمين**: محمد بن صالح:أصول في التفسير، ضمن رسائل في الأصول، دار البصيرة، إسكندرية، بدون تاريخ.

٧٩- **علوان**: توفيق: حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، الطبعة الأولى.

٨٠- **الغزالي**: أبو حامد: جواهر القرآن، مكتبة الجندي، مصر.

٨١- **الغزالي**:أبو حامد محمد بن محمد:إحياء علوم الدين، مصطفى الحلبي، بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ.

٨٢- **الغماري**:أحمد محمد بن الصديق: مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، مكتبة القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧١م.

٨٣- **فرغلي**: قطب: من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات، ود. السيد زيدان، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

٨٤- **فكري**: علي: القرآن ينبوع العلم والعرفان، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٥هـ.

٨٥- **الفندي:** جمال الدين: القرآن والعلم ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ ١٩٦٨م.

٨٦- **الفندي:** محمد جمال الدين: القرآن والعلم، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٨٧- **الفندي:**محمد جمال الدين: الكون بين العلم والدين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الكتاب ١٤، ١٩٧٢م.

٨٨- **الفندي:**محمد جمال الدين: من روائع الإعجاز في القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٨٩- **الفيروزآبادي:** مجد الدين محمد: القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.

٩٠- القرعاوي: سليمان بن صالح: التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الإعجاز العلمي للقرآن، دار الحضارة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٩١- **القاسم:** محمود: براهين، دار الهجرة، بيروت دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٩٢- **القشيري:**أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، طبعة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٩٣- **قطب:**سيد: في ظلال القرآن، الطبعة العاشرة ١٤٠٢، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

٩٤- **الكرداني:** أحمد عبد السلام: الإعجاز العلمي في القرآن:.

٩٥- **الكلبي:** محمد بن أحمد بن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٩٦- **لاشين**: موسى شاهين: اللآلئ الحسان في علوم القرآن، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.

٩٧- **ماردیني**: عبد الرحيم: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن ـ دار المحبة ـ دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٩٨- **المحتسب**: عبد المجيد: اتجاهات التفسير في العصر الحديث، الطبعة الثانية ١٤٠٠، مكتبة النهضة الإسلامية عمان، الأردن.

٩٩- **محمود**: منيع عبد الحليم: مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٨.

١٠٠- **مروة**: يوسف: العلوم الطبيعية في القرآن، ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٧.

١٠١- **مسلم**: مصطفى: مباحث في إعجاز القرآن، طبعة دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠٢- **المصلح**: عبد الله: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، رابطة العالم الإسلامي. مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٠٣- **المطيعي**: محمد بخيت: تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية والعمرانية، طبعة السعادة، ١٩٨٤م.

١٠٤- **المنوفي**: محمود أبو الفيض: القرآن والعلوم الحديثة، الناشر عيسى الحلبي وشركاه، ١٩٧١م.

١٠٥- **مهران**: جمال الدين: الغذاء والدواء في القرآن الكريم، وعبد العظيم صابر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

١٠٦- **النجار**: زغلول: السماء في القرآن، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٧- **النجار**: زغلول: صور من تسبيح الكائنات لله، الطبعة الأولى.

١٠٨- **النجار**: زغلول: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠٩- **نوفل**: عبد الرزاق: القرآن والعلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١١٠- **النيسابوري**: أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١١١- **الهلالي**:صادق: الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. ود. حسين اللبيدي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١١٢- **هميمي**: زكريا: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة من بولي - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١١٣- **الواحدي**: أبو الحسن: أسباب نزول القرآن، طبعة دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-١٩٩١م.

١١٤- **يوسف**: يعقوب: لفتات علمية من القرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

***

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: مفهوم التفسير العلمي وتاريخه:	٧
المبحث الأول: التعريف بالتفسير العلمي.	٨
المبحث الثاني: العلاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.	١٧
المبحث الثالث: التفسير العلمي بين المنهج والاتجاه.	٢١
المبحث الرابع: تاريخ التفسير العلمي، وأبرز المؤلفات منه.	٢٤
▪ المطلب الأول: تاريخ التفسير العلمي.	٢٤
▪ المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في التفسير العلمي.	٢٧
الفصل الثاني: التفسير العلمي بين الرفض والقبول:	٣٥
تمهيد	٣٦
المبحث الأول: أبرز المعارضين للتفسير العلمي وأدلتهم.	٣٩
المبحث الثاني: تحقيق موقف بعض من صنِّفوا معارضين للتفسير العلمي:	٤٧
▪ المطلب الأول: أبو حيان الأندلسي.	٤٧
▪ المطلب الثاني: محمد رشيد رضا.	٤٨
▪ المطلب الثالث: محمد عبد العظيم الزرقاني.	٥٢

▪ المطلب الرابع: سيد قطب. ٥٥

المبحث الثالث: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم: ٦٣

▪ المطلب الأول: أبرز المؤيدين للتفسير العلمي. ٦٣

▪ المطلب الثاني: أبرز أدلة المؤيدين للتفسير العلمي..... ٦٧

المبحث الرابع: الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين: ٧١

▪ المطلب الأول: الترجيح بين أدلة المانعين والمجيزين. ٧١

▪ المطلب الثاني: ضوابط قبول التفسير العلمي. ٧٢

الفصل الثالث: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود والمقبول: .. ٨١

المبحث الأول: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المردود. ٨٢

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية على التفسير العلمي المقبول ٩٤

الخاتمة: ١٠٣

▪ أولًا: النتائج. ١٠٣

▪ ثانيًا: التوصيات..... ١٠٥

فهرس المراجع والمصادر ١٠٧

فهرس الموضوعات..... ١١٩